مطرانية المنيا وأبوقرقاص

دراما الصلب



تقديم
نيافة الأنبا أرسانيوس

مكاريوس
الأسقف العام

مطرانية المنيا وأبو قرقاص
للأقباط الأرثوذكس

دراما الصلب

دراسة حول الشخصيات والأماكن والأدوات

تأليف
مكاريوس
الأسقف العام

تقديم
نيافة الأنبا أرسانيوس
مطران المنيا وأبو قرقاص

اســــــم الكتـــــاب: **دراما الصلب**

دراسة حول الشخصيات والأماكن والأدوات

تقـــــــــــــديم: نيافة الأنبا أرسانيوس مطران المنيا وأبو قرقاص

المؤلـــــــــــــف: مكاريوس الأسقف العام

الناشـــــــــــــر: مطرانية المنيا وأبو قرقاص للأقباط الأرثوذكس

الطبعـــــــــــــة: الأولى. فبراير ٢٠١٠

المطبعـــــــــــة : دار نوبار للطباعة

رقـــــم الإيـــــداع : ٤٨٦٣ / ٢٠١٠



قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

تقديم

لنيافة االحبر الجليل لأنبا أرسانيوس

مطران المنيا وأبوقرقاص

من أعماق القلب نشكر الله على نعمه وبركاته التي يمنحنا إياها بين الحين والآخر..ويسمح لنا بالتأمل في آلامه الكثيرة التي احتملها من أجل خلاصنا ونوالنا الحياة الابدية.

ولا نستطيع أن ننسى الجهد المبارك الذي بذله نيافة الحبر الجليل والأخ الحبيب الأنبا مكاريوس الأسقف العام، لكي نعرف كيف نستعد لأسبوع الآلام وكيف نسلك فيه حاملين خشبة الصليب المقدسة واكليل الشوك فوق رؤوسنا.

ولا تكون الجلجثة بالنسبة لنا هي مكان صُلب فيه الرب يسوع المسيح فقط .. بل حياة نعيشها كل يوم محتملين كل ما يأتي علينا من آلام وأتعاب تمجيدًا لاسمه القدوس.

لالهنا كل المجد والكرامة من الآن وإلى الأبد آمين.

الأنبا أرسانيوس

مطران المنيا وأبوقرقاص

عيد القديس الأنبا بولا أول السواح — ٢ أمشير ١٧٢٦ش

الثلاثاء الأول من الصوم الكبير — ٩ فبراير ٢٠١٠م



نيافة الحبر الجليل الأنبا أرسانيوس

مطران المنيا وأبوقرقاص

مقدّمة

هذه الشخصيات والأماكن وأمور اخرى، هي عبارة عن عظات قصيرة ألقيت في أسبوع الآلام، وبالتحديد في البسخة التي تقام في الحادية عشرة ليلاً ويشترك فيها قرابة الألف شخص، وذلك بكنيسة القديس أنطونيوس بالمنيا، خلال السنوات من ٢٠٠٥- ٢٠٠٩م.

وكان الغرض منها التفاعل بشكل أكبر مع أحداث أسبوع البسخة المقدسة، وقد قمنا بطباعتها هنا علّ قراءتها في أسبوع الآلام تعين القارئ في فهم ملابسات هذا الأسبوع الكبير، حيث قدم السيد المسيح فداءً ثميناً، لاسيما وأن الشعب يدّخر أفضل وأرقى مشاعره ليسكبها عند قدمي المسيح في هذه المناسبة والتي تختلط فيها مشاعر الناس ما بين الألم والحزن على آلام المسيح الجسدية والنفسية، وما بين الفرح الكبير بالخلاص الذي انتظرته البشرية جمعاء..

إن جميع الأشخاص الذين تلامسوا مع صليب المخلّص، سواء بشكل إيجابي أو سلبي، كان هذا التلامس هو أعظم حدث جرى لهم في حياتهم، بعضهم دخل التاريخ من خلاله كشرير خالد، والبعض الآخر كبارٍ خالد، كذلك الأشياء والأدوات التي تلامست مع الصليب صارت أغلى وأغنى وأهم الأشياء بسبب ذلك، فالمسامير التي صُلب بها الرب صارت

أثمن قطعة حديد في الوجود، وكذلك الخشب والمطرقة والشوك، كذلك تقدّست دار الولاية والجلجثة وبيت حنّان وقيافا والبستان والعلّية، وأعطى السيد المسيح لكل هؤلاء وهذه الأدوات قيمة وأهمية.

ولا يفوتني أن أشكر أبي الحبيب نيافة الأنبا أرسانيوس مطران المنيا وأبوقرقاص على محبته وتشجيعه بتقديمه للكتاب رغم كثرة مسئولياته، كذلك أشكر الابن الحبيب المهندس بشارة على تعبه في مراجعة الكتاب لغويًا وإعداده للطباعة.

أرجو للجميع متعة وتفاعلاً أكثر مع أحداث القبض على المسيح ومحاكمته وصلبه وموته ودفنه وقيامته المقدسة، بصلوات أبينا صاحب القداسة البابا الأنبا شنوده الثالث، وشريكه في الخدمة الرسولية نيافة الحبر الجليل مطراننا المكرم الأنبا أرسانيوس. ونعمة الرب تشملنا آمين.

الصوم الكبير	**مكاريوس**
فبراير ٢٠١٠	**الأسقف العام**



(١) أسبوع الآلام ..

كيف نستعد وكيف نسلك فيه؟

(١)

أسبوع الآلام. كيف نستعد وكيف نسلك فيه

سُميت الأيام التي تألم فيها السيد المسيح وصلب بـــــ "أسبوع الآلام" لأنه يبدأ من السبت (سبت لعازر) إلى السبت الآخر (سبت الفرح) ويسمى أيضا الأسبوع المقدس *Holy Week*، والأسبوع الكبير، وهكذا سُمي كل يوم من أيام هذا الأسبوع بالكبير: الخميس الكبير والجمعة الكبيرة وهكذا. مثلما سميت أيضا الأيام مقرونة بالبسخة: اثنين البسخة وثلاثاء البسخة ..

فقد بدأ التآمر على السيد منذ إقامة لعازر، وقد استشعر رؤساء اليهود بالخطر وعبروا عن ذلك بالقول: "إِنْ تَرَكْنَاهُ هكَذَا يُؤْمِنُ الْجَمِيعُ بِهِ، فَيَأْتِي الرُّومَانِيُّونَ وَيَأْخُذُونَ مَوْضِعَنَا وَأُمَّتَنَا»." (يوحنا ١١ : ٤٨) ومن ثمّ عقدوا مجمعا لمناقشة الأمر ليقرروا ما يفعلونه.

وقد حاول اليهود قبل ذلك مرارًا أن يلقوا عليه أياديهم ولكنهم فشلوا لأن ساعته لم تكن قد جاءت كما سبق هو وقررها، كما أن الســيد المســيح رفض أن يموت إلا صلبا وهكذا فشلوا في أن يرجموه أكثــر مــن مــرة: "فَرَفَعُوا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ. أَمَّا يَسُوعُ فَاخْتَفَى وَخَرَجَ مِنَ الْهَيْكَلِ مُجْتَازًا فِــي وَسْطِهِمْ وَمَضَى هكَذَا." (يوحنا ٨: ٥٩ و١٠: ٣١) أو يلقوه من فــوق قمــة جبل "فَقَامُوا وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ، وَجَاءُوا بِهِ إِلَى حَافَّةِ الْجَبَلِ الَّذِي كَانَتْ

مَدِينَتُهُمْ مَبْنِيَّةً عَلَيْهِ حَتَّى يَطْرَحُوهُ إِلَى أَسْفَلٍ. أَمَّا هُوَ فَجَازَ فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى." (لوقا ٤: ٢٩، ٣٠)، إلى هذا يشير القديس يوحنا قائلاً: "وَكَانَ قَوْمٌ مِنْهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُمْسِكُوهُ، وَلكِنْ لَمْ يُلْقِ أَحَدٌ عَلَيْهِ الأَيَادِيَ." (يوحنا ٧ : ٤٤). ولكن عندما جاءت الساعة عبّر الانجيل عن ذلك بقوله " أَمَّا يَسُوعُ قَبْلَ عِيدِ الْفِصْحِ، وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ سَاعَتَهُ قَدْ جَاءَتْ لِيَنْتَقِلَ مِنْ هذَا الْعَالَمِ إِلَى الآبِ، إِذْ كَانَ قَدْ أَحَبَّ خَاصَّتَهُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ، أَحَبَّهُمْ إِلَى الْمُنْتَهَى..." (يوحنا ١٣: ١). هذا وقد فكر اليهود عمليًا في قتله يوم الأحد وذلك بسبب هتاف الشعب له واستقبالهم له كملك...

والبسخة: وهي كلمة عبرية تعني "عبور" ومنها الكلمة الأنجليزية *Passover* وتعني الفصح أو العبور: "وَيَكُونُ لَكُمُ الدَّمُ عَلاَمَةً عَلَى الْبُيُوتِ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا، فَأَرَى الدَّمَ وَأَعْبُرُ عَنْكُمْ .." (خروج ١٢: ١٣). وعن المسيح الفصح الحقيقي يقول القديس بولس: " لأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبحَ لأَجْلِنَا." (كورنثوس الأولى ٥:٧) هكذا نحن من خلال آلام السيد المسيح ودمه الأقدس عبر عنا الموت...

أمّا البداية فقد أشار إليها القديس متى قائلاً: " ثُمَّ أَخَذَ مَعَهُ بُطْرُسَ وَابْنَيْ زَبْدِي، **وَابْتَدَأَ** يَحْزَنُ وَيَكْتَئِبُ." (متى ٢٦:٣٧)، وورد في انجيل القديس مرقس: " **فَابْتَدَأُوا** يَحْزَنُونَ، وَيَقُولُونَ لَهُ وَاحِدًا فَوَاحِدًا:«هَلْ أَنَا؟» وَآخَرُ:«هَلْ أَنَا؟»" (مرقس١٤:١٩)

ويُعد أسبوع الالام أهم أسبوع في السنة كلها، فإذا كان الصوم الكبير هو أهم موسم في السنة، فإن أسبوع الآلام هو أقدس أيام هذا الموسم، لذلك فهو بالتالي أقدس أيام السنة كلها... وقديما كانوا يحتفلون به مرة كل ثلاثة وثلاثين عامًا، حتى انتبه أحد البطاركة إلى أن هناك بعض من الناس يولدون ويموتون دون الاحتفال به، فقرروا الاحتفال به سنويًا، بل وضم أسبوع الآلام على الصوم... كان الصوم عقب المعمودية (عيد الغطاس) والفصح في وقت آخر، إلى أن انضم الصوم إلى البسخة وليس العكس.

ولكن لماذا هو أهم أيام السنة كلها؟

أولاً: من جهة أحداثه:

فهذه أهم مرحلة من مراحل الخلاص.. وأكثرها دقة، بما فيها العشاء الرباني، وخيانة التلميذ، وهياج اليهود، ودراما الصلب، والمحاكمات أمام رؤساء الكهنة، ثم بيلاطس أكثر من مرة، وهيرودس، هياج الرعاع من الشعب، سخرية رؤساء الكهنة، وبكاء نساء أوؤشليم، وصلب الرب، والأحداث التي رافقت ذلك .. هروب التلاميذ، وانكار بطرس، حلم بروكولا، ثورة الطبيعة، انشقاق حجاب الهيكل، تحرّك يوسف ونيقوديموس، عملية الدفن، القيامة المقدسة...

ثانياً: من جهة قراءاته:

وحتي القرن الحادي عشر كان الكتاب المقدس يُقرأ بكامله في الكنيسة خلال الأسبوع، فالكتاب المقدس هو موضوع حب الله للإنسان وفدائه، هو وحدة واحدة فإذا قُرئ بكامله خلال هذا الأسبوع تُمثل أمام أعين المصلين القصة بكاملها، وفي قرائتها تتدرج الكنيسة حتي تصل إلي الذروة بصلب الرب وموته لتختم بسفر الرؤيا سفر تكليل الكنيسة... وظل هذا النظام معمولاً به حتي جاء البابا غبريال واختار بعض الفصول فقط تخفيفاً على الشعب والذي لم يعد قادرا على التواجد طوال الأسبوع كما كانوا يفعلون من قبل حيث كانوا يلازمون الكنيسة من الأحد إلى الأحد. (بالطبع هناك الكثير من التفاصيل المهمة حول هذا التحول، ولكن ليس المجال هنا مناسبًا لسردها).

ثالثاً من جهة الألحان:

رتبت الكنيسة أرق وأعذب الألحان لهذه المناسبة الفريدة، وأشدها تبكيتًا وتأثيراً بحيث يبكي لها السامع ويعزى معاً(متى كان الخورس جيدًا)، تشركنا هذه الألحان مع السيد المسيح في آلامه، فنحن نبكيه من جهة، ومن جهة أخرى نبكت أنفسنا لأننا تسببنا في آلامه وموته... فنبكيه ونبكي أنفسنا، تماما مثلما يحدث عندما نرد على الكاهن "كيرياليسون" أثناء القسمة، حيث يأتي لحنها حزينًا باكيًا، وكأني بالشعب يتوسل إلى الله أن يغفر له خطاياه التي سببت له هذه الالام (حيث يشير تقسيم الجسد إلى آلام المسيح).

وفي لحن "**فاي ايتاف انف**": والذي يقال يومي الخميس والجمعة، يقول اللحن "هذا الذي أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا"، ويلاحظ في اللحن أن السيد المسيح أصعد ذاته بإرادته وحده عنا كلنا، وفي لحن "**تاي شوري**" والذي يقال في الساعة السادسة من يوم الجمعة، يقول اللحن "المجمرة الذهب النقية الحاملة العنبر في يد هارون الكاهن يرفع بخورًا"، ويقال في ذلك الوقت بالذات لأن المسيح يكون مرفوعًا على الصليب كرئيس الكهنة الأعظم والحقيقي يرفع ذبيحة نفسه عن العالم كله، فهو الذبيحة والكاهن معًا، ثم لحن "تي شوري" والذي يقال في الساعة التاسعة حيث أسلم يسوع الروح، يقول اللحن: "المجمرة الذهب النقي هي العذراء وعنبرها مخلصنا ولدته وخلصنا وغفر لنا خطايانا"، والمناسبة هنا دقيقة وتختلف عن مناسبة اللحن السابق فالمسيح هنا أكمل الفداء قائلاً "قد أُكمل" فتم الخلاص وهكذا اشتم الآب رائحة السرور، ثمّ لحن: "بيك اثرونوس" والذي يقال مرتين إحداهما يوم الثلاثاء والثانية يوم الجمعة؛ يقول اللحن: "عرشك يا الله إلى دهر الدهور" حيث العرش هو الصليب، هكذا يرد في مزمور (٩٦: ١ قبطي) "الرب ملك على خشبة"، ويلاحظ في نغمات اللحن أنه يبدأ بالحزن الشديد وينتهي بإيقاع النصر والفرح. ثمّ لحن: "ثوك تى تي جوم" والذي نردده طوال ساعات البسخة "لك القوة والمجد والبركة والعزة إلى الأبد آمين" لنؤكد أنه ليس مهزومًا حتى وإن كان له مظهر الضعف ولذلك تؤكد بقية الألحان أنه أصعد ذاته على الصليب -كما قلنا. وفي لحن آخر هو لحن "أومونوجينيس" نقول: "قدوس القوي، يا من أظهر

بالضعف ما هو أعظم من القوة".... وفي لحن غولغوثا نقول له: "بسطت يديك" أي صُلبت بارادتك، وغيرها كثير من الألحان والتي تحتاج إلى كتاب خاص يقدم تاريخها ومحتواها اللاهوتي ونغماتها وتأثيرها.

من جهة النسك:

اعتاد الأقباط في العصور الأولى أن يصوموا الصوم الكبير بنسك شديد، وأن يقضوا أسبوع الآلام كله منقطعين عن الطعام باستثناء المرضى منهم، ومع ضعف الجسد وقلة الجهاد صاموا يومين يومين على أن ينقطعوا عن الطعام من بعد قداس خميس العهد وحتى قداس عيد القيامة، وكانت العادة وإلى وقت قريب جدا أن يكتفوا بالمسلوق من الخضر، وفي بعض الأديرة (مثل دير الأنبا صموئيل) كان الآباء لا يوقدون نارا خلال هذا الأسبوع، وفضّل المدبرون الروحيون أيضا ضبط النفس تجاه الحلوى والمرطبات وما صار عادة مثل الشاي والقهوة وغيرها، كان لسان حالهم يقول مع القديس بولس: "مع المسيح صلبت" وأيضا: "وَلَكِنَّ الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ." (غلاطية ٥: ٢٤) وفي بعض القرى لاحظت أن النسوة يرتدون الثياب السوداء طيلة الأسبوع، وليس داخل الكنيسة فقط (وهذا من قبيل تصوير ماضي البشرية المظلم من جهة، وتألمًا مع المسيح من جهة أخرى)، كما يمتنعن بالتالي عن الزينة والحلي، كذلك يلتزم المتزوجون ضبط النفس إن لم يكن خلال الصوم كله – وهذه وصية الكنيسة – فعلى الأقل خلال الأسبوع الأخير.

كذلك لا تقيم الكنيسة سر الزيجة أو الخطوبات، وبالتالي لا حفلات ولا تنزه، إذ كيف يمكن أن يخرج أحد للنزهة والكنيسة تبكي مخلصها مرافقة إياه ساعة بساعة!

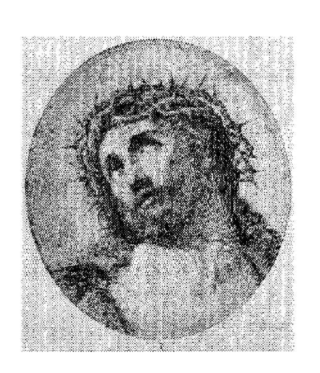
التدبير الشخصي:

تتوقف الكنيسة عن صلاة الأجبية خلال أسبوع الالام فأكثرها مزامير، وها هي المزامير تُصلى في الكنيسة ملحنة، وبالتالي نصلي في المخدع تسبحة "ثوك تي تي جوم" اثنتي عشرة مرة في ساعات الأجبية، مع الميطانيات والتي تحدد بمعرفة الأب الروحي، وكذلك القراءات والتي تشمل عادة سفر إشعياء النبي مع الأناجيل الأربعة، إلى جانب قراءات أخرى حول أحداث الأسبوع. ومن الضروري أن يحضر المصلي إلى الكنيسة ومعه كتاب البسخة الخاص به مع قلمه ينصت ويتابع القراءات جيدًا ويضع ملاحظاته وتأملاته، وان أمكن وبقدر المستطاع لا يتكلم مع الآخرين لا في العمل ولا في المنزل ولا مع الأصدقاء، فالفكر كله والمشاعر والوقت كلها مكرسة للفادي والمخلص.

في طقس الكنيسة:

تحتفل الكنيسة بالبسخة المقدسة من ليلة الأثنين، وتتوقف ممارسة الاسرار ولا نقترب من الهيكل إلا في صباح خميس العهد حيث يقدم المسيح جسده ودمه عن حياة العالم، ويشرح هذا الطقس الذي يأتي عرضًا قصة الفداء وكيف قدم المسيح جسده مكسورًا عنا، ولا نصلي الأجبية أيضا لأن

أكثرها تتنبأ عن الرب وها هي النبوات تتحقق، ونسير مع المسيح خطوة بخطوة فلما صام: صمنا، ولما صلّى: صلينا، وعندما تألم: تألمنا معه، وبعد الى مجد يأخذنا..





(٢) علّية صهيون

(٢)

علية صهيون

(مرقس ١٤:١٥، لوقا ١٢:٢٢، أعمال ١٣:١)

هي المكان العلوي في بيت القديس مرقس الرسول (المدعو يوحنا أيضًا)، والتي جرى فيها العديد من الأحداث بالغة الأهمية أيام السيد المسيح، بخلاف أحداث أخرى في الكنيسة الأولى، فهي المكان الذي غسل فيه الرب أرجل تلاميذه ثم أسس الافخارستيا، وهي كذلك المكان الذي اختبأ فيه التلاميذ بعد الصلب حيث ظهر لهم الرب، وكذلك حلول الروح القدس على التلاميذ والسيدة العذراء وجمع يصل إلى مئة وعشرين شخصًا.

لفظة "**علية**" وهي شائعة الاستخدام في العهدين القديم والجديد، تُطلق على الدور العلوي من البيت اليهودي بشكل عام، وغالباً ما تكون مسكناً مستقلاً عن البيت من خلال سلم منفصل، هذا يشرح لنا كيف صعد الرجال الأربعة الحاملين المفلوج إلى السطح ليدلوه من السقف.

وتسمى العلية في اللغة اللاتينية *Coendculune* وتعني المكان المعد لتناول الطعام، وبمعنى أوسع "الطابق العلوي من البيت" وسميت أيضا "أباغيون" أو "اوفيرون" بمعنى علية عشاء أو اجتماع، ونقرأ عن "علية البرود" وهي المكان الذي اتخذه عجلون ملك موآب مقرا صيفيًا له (قضاة ٣: ٢٠-٢٥)، كما نقرأ أن المرأة الشونمية عندما مات ابنها وضعه اليشع

النبي على السرير في العلية التي في بيتها (امل ١٩:١٧) وكان مقيمًا بهـا. نقرأ كذلك أن داود النبي بكى ابنه في علية الباب (٢صـم ٣٣:١٨)، وأمـا سليمان فقد بنى مجموعة من "العلالي" (جمع علية) وغشاها بالذهب والفضة (راجع ١ أخ ١١:٢٨ و ٢ أخ ٩:٣). وفي الأديرة أُطلق على الحجرة التي تعلو الباب الرئيسي "علية" حيث يقيم الراهب البواب ويهتم بعابري السبيل.

كان "أرسطوبولس" والد مرقس الرسول جاء إلى اورشليم قادمًا من موطنه الأصلي "القيروان" قد بنى له بيتا فسيحًا أشبه بالقصر وأقـام فوقـه علية كبيرة يتضح لنا سعتها من العدد الكبير الذي اجتمع بها وقـت حلـول الروح القدس، كما اشترى بستانًا ليكون عمله ومصدر رزقه وهـو الـذي عُرف بـ "بستان جثسيماني". وبعد وفاة أرسطوبولوس دُعى البيـت "بيـت مريم ام يوحنا مرقس" (أعمال ١٢:١٧)، في هذا البيت تعرف مرقس علـى السيد المسيح من خلال اجتماعه هناك بتلاميذه، ولذلك فهـو شـاهد عيـان للأحداث التي جرت داخل بيته على وجه الخصوص.

في هذه العلية أيضًا أعد التلاميذ الفصح للسـيد المسـيح" وجبـة فصحية" وذلك في اليوم الأول من الفطير اليوم السابق حسب الكثيـر مـن الآباء (حيث تأتي في القبطية " بي شورب" وهي لفظة تعني الأول كما تعني السابق أيضًا).

في تلك الليلة والتي تناول فيها السيد المسيح الوجبة الفصحية مـع تلاميذه، تشاجر بطرس ويهوذا حول من يجلس عن يمين السيد ومن يجلس

عن شماله، حيث يجلس الأكبر في مثل تلك الولائم عن يمين رب البيت بينما يجلس الأصغر عن شماله، ولكن بعد ذلك وليس بكثير ظهرت خيانة يهوذا، وأنكر بطرس، ولما أراد السيد أن يعطيهما درسًا في الاتضاع قام عن العشاء وسلمهم عمليًا طقس غسل الأرجل (اللقان في الكنيسة الآن).

وفي تلك الليلة، ونفس المكان أيضا أسس الرب سر الافخارستيا، وبعد ذلك سبح مع تلاميذه المزامير (١١٣- ١١٨) وهي المعروفة في الطقس اليهودي بـ "الهلليل العظيم" ثم خرج إلى جبل الزيتون إلى بستان جثسيماني، وهكذا كانت العلية هي آخر مكان يرتاح فيه قبل الصلب.

وفي المكان ذاته كان التلاميذ مجتمعون وهم غارقين في الحزن بعد صلب معلمهم وتبخُّر آمالهم، ولكنه لم يتركهم هكذا فأدخل الفرح إلى قلوبهم وبدد مخاوفهم بظهوره لهم وقال لهم: "اُنْظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ: إِنِّي أَنَا هُوَ! جُسُّونِي وَانْظُرُوا، فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي»" (لوقا ٢٤:٣٩)

وفي المكان عينه وفي يوم البنطقستي (الخمسين) حل الروح القدس على التلاميذ، ومعهم ما يزيد عن المئة والعشرين نفسًا.. وهو يوم ميلاد الكنيسة، ولذلك فالعلية هي الكنيسة الأولى حيث اجتمع الرب مع تلاميذه وحيث أسس الافخارستيا وسبح.. وأفاض روحه القدوس على الجماعة الأولى لتنطلق الكنيسة كارزة من تلك اللحظة.

وبعد عشرين عاماً عُقد أول مجمع برئاسة القديس يعقوب الرسول، والذي ترأس الجماعة المسيحية بعد صعود السيد المسيح، كأول راع يرعى هذا القطيع الصغير موكلاً من الله عليهم، وذلك سنة ٥٠م. حيث نوقشت في الاجتماع قضية التهود .. وهكذا أصبحت العلية مقر اجتماع الكنيسة. ففيها أقام التلاميذ الافخارستيا بعد حلول الروح القدس، كما ورد في سفر الأعمال (أعمال ١:١٤ و ٢:٤٢)

عليّة صهيون في التقليد والتاريخ:

يفيد التقليد أن الآباء الرسل قد كرسوا الموضع كنيسة على اسم السيدة العذراء، وإذ بدأت الكنيسة تنطلق من هناك أسموا المكان "علية صهيون" وأصبح الاسم "صهيون" يطلق على العلية بعد أن كان يطلق عليه "مدينة داود"، فإن المسيح هو "داود الحقيقي". إلى هذا المكان أيضا توجه القديس بطرس بعد إنقاذ الملاك له من السجن (أعمال الرسل ١٢:١٢) حيث أن "باب الحديد" المذكور في القصة يقع بالقرب من ذلك الموقع (أعمال ١٢:١٣).

يشهد القديس أبيفانيوس أسقف سيلاميس بقبرص (وهو فلسطيني في الأصل تنيح سنة ٤٠٣م.) أن الإمبراطور أدريانوس (هادريان) زار فلسطين ووجدها كما تركها تيطس بعد تدميرها سنة ٧٠م. فيما عدا بعض البيوت، ومن بينها كنيسة صغيرة قامت في مكان العلية، ويشير القديس كبريانوس (أسقف قرطاجنة الشهيد) في حديثه عن "كنيسة الرسل" إلى ذلك المكان

أيضًا، كما وصفت المكان ذاته الحاجة إيثريا (إيجيريـا) حيـث شـاهدت الاحتفالات الدينية التي كانت تقام في المكان في ذكرى ظهـورات الـرب وعيد العنصرة. وهكذا صار المكان مركز كرسي اورشليم (تكونـت مـع الوقت خمسة كراسي رسولية: هي أورشـليم، أنطاكيـة، مصـر، رومـا، القسطنطينية) كما أقام فيها أول أسقف لأورشليم هو القديس يعقوب الرسول.

قام يوحنا الثاني مطران القدس بترميم الكنيسة وكانت ماتزال باسم صهيون المقدسة وكانت تقام فيها احتفالات أيضًا لقديسين وُضعت رفـاتهم فيها، وكذلك ذكرى القديس يعقوب والملك داود، حيث يفترض أن قبرة يوجد تحت العلية.

قامت جيوش كسرى الملك بتدمير الموضع فـي القـرن السـابع الميلادي، واعاد ناسك يدعى موديستو تعميرها ولكن المسلمين دمروها من جديد، فلما وصل الصليبيون لم يجدوا سوى الكنيسة العليا فبنوا بناء ضخما شمل المكان الذي تنيحت فيه العـذراء، وبعـد رحيـل الصـليبين حـافظ المسيحيون على العلية بينما أخذت الكنيسة الجديدة في التهدم.

وهناك تقليد سرياني يفيد بأن السيدة العذراء قد تعمدت علـى يـد الرسل هناك (وإن كان تقليد مشكوك في صحته) حيث توجد أيقونة لها مـن رسم القديس لوقا فوق جرن المعمودية يقال أنها التي تعمدت فيـه. ويـذكر شخص يدعى "برنارد الحكيم" والذي زار المكان خلال الفترة (مـن ٧٢٧-٧٢١م.) أن إكليل الشوك كان معلقًا هناك في العلية على الحائط..

ومع قدوم الآباء الفرنسيسكان إلى المنطقة قاموا بترميم العلية ثم ابتنوا ديرًا صغيرًا مازال قائمًا حتى اليوم، ولكنه وبعد حوالي مئة سنة قام المسلمون بتحريض من اليهود بهدم القاعات السفلى والاستيلاء على قبر الملك داود، ونتيجة المضايقات الكثيرة وعدم مساندة السلطان العثماني في القسطنطنية اضطروا إلى ترك المكان سنة ١٥٥١م. وتحول إلى مسجد سنة ١٥٥٤م. ومُنع المسيحيون من زيارته، ولكن مؤخرًا سُمح لهم بالزيارة دون إقامة أية قداسات.

الآثار الموجودة هناك حالياً:

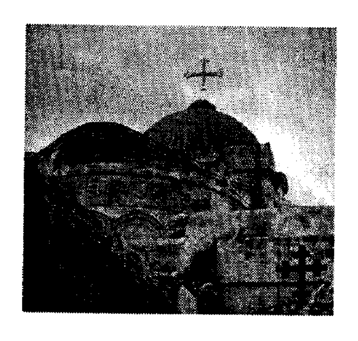
١. الباب الذي قرعه القديس بطرس بعد خروجه من السجن.
٢. أول جرن معمودية مسيحية.
٣. مذبح كرسي القديس يعقوب أول أسقف لأورشليم.
٤. أيقونة أثرية للسيدة العذراء رسم القديس لوقا الطبيب.
٥. الدير الذي بناه الفرنسيسكان بعد أن توسعت الكنيسة لتصبح "بازيليكا" حيث أسماها البيزنطيون "أم جميع الكنائس" بينما سُمى الدير "دير مار مرقس" نسبة إلى بيت مرقس الرسول (الذي هو العلية).

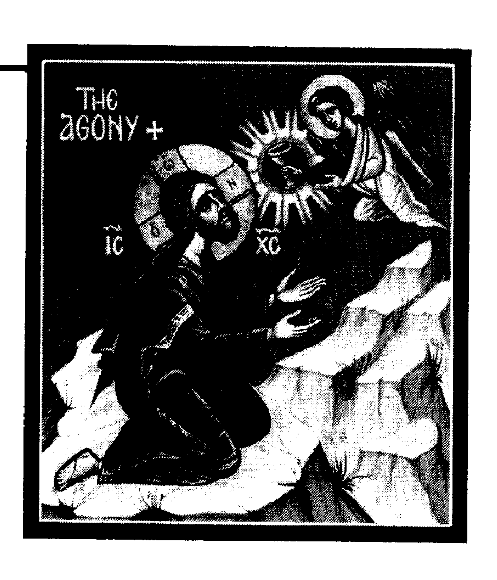
أمّا كيف انتقل الموضع إلى السريان في وقت من الأوقات:

كان أسقف السريان يهتم بمصالح الأقباط وكان المكان تابعًا لهم، مقابل أن يرعى مطران الحبشة مصالح السريان في بلاده، فلما رسم مطران للأقباط في القدس، استمر مطران السريان مقيمًا في المكان.

علية في بيتك:

بعض الأسر التقية تخصّص جزءًا من البيت (أو الشقة) إما حجرة بكاملها أو ركن صغير، يزينونه بالأيقونات ويضعون فيه بعض الكتب مثل الانجيل والأبصلمودية والأجبية والسنكسار وغيرها، هناك يصلّون ويسبّحون ويصنعون المطانيات، ويختلون من وقت لآخر، يسمى اليونانيون والروس مثل هذا المكان: "حجرة الأيقونات" حيث تتذكر العائلة أنه يجب أن يكون للمسيح مكان في بيتهم يستريح فيه ويسكن معهم، ويُسمّى هذا المكان "**العلية**".





(٣) جثـسـيمـانـي

(٣)

جثسيماني

قَدْ دُسْتُ الْمِعْصَرَةَ وَحْدِي،
وَمِنَ الشُّعُوبِ لَمْ يَكُنْ مَعِي أَحَدٌ.
(إشعياء٦٣:٣)

جاز السيد المسيح معصرة الآلام بمفرده، والجموع التي أشبعها من دسم كلامه ومن مائدته هتفت: "اصلبه اصلبه"، وكان الوالي الوثني أكثر شفقة عليه منهم!! وحتى التلاميذ أنفسهم تخلوا عنه، رغم تحذيره لهم: "هُوَذَا تَأْتِي سَاعَةٌ، وَقَدْ أَتَتِ الآنَ، تَتَفَرَّقُونَ فِيهَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى خَاصَّتِهِ، وَتَتْرُكُونَنِي وَحْدِي." (يوحنا ١٦: ٣٢) (عاد التلاميذ الى صيد السمك بعد قيامة المسيح، وأثناء الصلب احتموا في العلية، وقبل الصلب سلمه يهوذا وأنكره بطرس وهرب مرقس تاركًا إزاره) باستثناء بنات اورشليم اللاتي بكين عليه ومع ذلك طلب إليهن بالأحرى أن يهتممن بأنفسهن وأولادهن، دون أن يستخف بالطبع بهذه المشاعر النبيلة، وحتى القديسة مريم اعطاها اهتمامه هي ويوحنا، فسلم كل منها للآخر وديعة وما أسمى كل منهما وديعة وجوهرة .. وكانت آلام المسيح النفسية لا تقل عن آلامه الجسدية بل وتزيد، لأنه جُرح في بيت احبائه "مَا هذِهِ الْجُرُوحُ فِي يَدَيْكَ؟ فَيَقُولُ: هِيَ الَّتِي جُرِحْتُ بِهَا فِي بَيْتِ أَحِبَّائِي." (زكريا ١٣:٦)

احتفل السيد المسيح بالفصح مع تلاميذه في علية مار مرقس، وكانت عائلة مرقس من القيروان جمعت ممتلكاتها وهاجرت إلى أورشليم، واشترت بيتًا هو الذي توجد العلية فيه من أعلى، وكذلك اشترت العائلة بستانا (فيما يشبه العزبة) وذلك في جبل الزيتون، إلى ذلك أشار القديس لوقا: "وَكَانَ فِي النَّهَارِ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ، وَفِي اللَّيْلِ يَخْرُجُ وَيَبِيتُ فِي الْجَبَلِ الَّذِي يُدْعَى جَبَلَ الزَّيْتُونِ." (لوقا٢١:٣٧) أي أن السيد المسيح كان يتردد إلى ذلك البيت للاجتماع والاحتفال أحيانا، بينما اعتاد الخلوة في البستان التابع لهذه العائلة التي نالت هذا الشرف..

قصة جثسيماني:

تُعتبر ضيعة جثسيماني من أغنى قصص دراما الصلب، إذ جاءت في البشائر الأربعة تفصيلية ومؤثرة أيما تأثير، حتى أنها من المحطات التي تأخذك- من خلال المطالعة- إلى عمق الحدث.. كان السيد المسيح قد اعتاد التردد على الجبل المسمى جبل الزيتون بشكل عام، بينما اعتاد المبيت والاختلاء في البستان الذي هناك، فعلى جبل الزيتون علّم كثيرًا واجتمع مع تلاميذه، هناك سأله تلاميذه عن علامات انقضاء الدهر "وَفِيمَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ، تَقَدَّمَ إِلَيْهِ التَّلاَمِيذُ عَلَى انْفِرَادٍ قَائِلِينَ:«قُلْ لَنَا مَتَى يَكُونُ هذَا؟ وَمَا هِيَ عَلاَمَةُ مَجِيئِكَ وَانْقِضَاءِ الدَّهْرِ؟»" (متى ٢٤:٣) راجع أيضًا: (مرقس١٣:٣). ويؤكد القديس لوقا محبته لذلك المكان قائلاً: "وَكَانَ فِي النَّهَارِ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ، وَفِي اللَّيْلِ يَخْرُجُ وَيَبِيتُ فِي الْجَبَلِ الَّذِي يُدْعَى جَبَلَ الزَّيْتُونِ." (لوقا٢١:٣٧ و٢٢:٣٩) بل إن السيد المسيح ودع تلاميذه هناك

حيث صعد الى السموات (أعمال ١٢:١) "حِينَئِذٍ رَجَعُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ مِنَ الْجَبَلِ الَّذِي يُدْعَى جَبَلَ الزَّيْتُونِ، الَّذِي هُوَ بِالْقُرْبِ مِنْ أُورُشَلِيمَ عَلَى سَفَرِ سَبْتٍ."

وفي تلك الليلة، ليلة آلام الرب، "خَرَجَ يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ مَا يَأْتِي عَلَيْهِ" (يوحنا ٤:١٨)، لقد أكل الفصح معهم، ثم أسس الإفخارستيا بتقديم جسده ودمه الاقدسين، وكان قد قرر أن يفعل كل شئ لأجلهم إلى حد تقديم نفسه بالصليب عنهم "أَمَّا يَسُوعُ قَبْلَ عِيدِ الْفِصْحِ، وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ سَاعَتَهُ قَدْ جَاءَتْ لِيَنْتَقِلَ مِنْ هذَا الْعَالَمِ إِلَى الآبِ، إِذْ كَانَ قَدْ أَحَبَّ خَاصَّتَهُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ، أَحَبَّهُمْ إِلَى الْمُنْتَهَى." (يوحنا ١:١٣). سبّح السيد المسيح مع تلاميذه ما كان يعرف بـ "الهلليل العظيم"، وهو مزامير الفصح (مزامير ١١٣-١١٨) ثم خرج معهم إلى جبل الزيتون إلى جثسيماني "ثُمَّ سَبَّحُوا وَخَرَجُوا إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ." (متى ٣٠:٢٦) راجع أيضا (مرقس٢٦:١٤). خرج السيد ومعه تلاميذه من الباب المسمى الآن "باب استفانوس" عبر وادي قدرون والذي ينخفض إلى ثلاثين مترًا، ومن ثم عبروا إلى الطريق الصاعد المزروع بأشجار الزيتون والذي يتشعّب من وادي قدرون.

ورغم أن بستان جثسيماني قريب من أورشليم، كما أشار كل من البشيرين الأربعة وكذلك سفر الأعمال (أعمال١٢:١) راجع أيضا: (متى ١:٢١ ومرقس ١:١١ ولوقا ٣٧:١٩). وهو يبعد عن أورشليم مسافة نصف ميل، وفي مقابل الهيكل تمامًا والبستان كما هو واضح من تسميته ملىء

بشجر الزيتون، والزيتون هو أحد المحاصيل الرئيسية في اليهودية (تين – عنب – زيتون) وفي البستان معصرة للزيتون ومن هنا جاءت التسمية "بستان جثسيماني" ويرد وصف الموضع ببستان في (يوحنا ١٨:١) " وَخَرَجَ مَعَ تَلاَمِيذِهِ إِلَى عَبْرِ وَادِي قَدْرُونَ، حَيْثُ كَانَ بُسْتَانٌ دَخَلَهُ هُوَ وَتَلاَمِيذُهُ"، كما يوصف بالحقل في (متى ٣٦:٢٦).

أين يقع المكان الآن؟:

يختلف اليونانيون مع الأرمن مع الأوروبيين في تحديد مكان بستان جثسيماني، ولكن الموضع بشكل عام يقع على سفح الجبل فوق الطريق الواصل بين أورشليم وبيت عنيا. وتفيد أقدم التقاليد بأنه عند زيارة الملكة هيلانة لأورشليم سنة ٣٢٦م. حدّدوا لها الموقع من خلال كنيسة للسيدة العذراء على مسافة خمسين مترًا إلى الشرق من القنطرة على وادي قدرون مقابل الهيكل.

وفي الموضع الذي كان فيه البستان موضوع مقالنا، كان الرهبان الفرنسيسكان يحيطونه بالاشجار والورود عندما سكنوا هناك، حيث اعتنوا به جدًا، وهناك توجد ثماني شجرات يقال إنها ترجع إلى زمن السيد المسيح في تجسده، والأرجح أنها "خليفة منها" (أي من خلال عملية الشتل المستمرة)، لا سيما وقد ذكر يوسيفوس المؤرخ اليهودي أن تيطس القائد الروماني والذي دمر أورشليم، قد أمر بقطع الأشجار الموجودة حول أورشليم. وهناك على مسافة تسعين مترًا يوجد كهف يقال أنه المكان الذي

جثا فيه السيد المسيح وصلى حيث صار عرقه كقطرت دم "وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ، وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الأَرْضِ." (لوقا ٢٢:٤٤).

يسوع المسيح وتلاميذه هناك:

خرج الرب يسوع من العلية متجهًا إلى هناك وخلفه تلاميذه، وهم في حالة من الرهبة الشديدة، تتجاذبهم الأفكار، وينتظرهم عدو مجهول يتوقعونه، وتزاحمت الأفكار في رؤوسهم واسترجعوا أقوال معلمهم الخاصة بآلامه وموته، عندما كانوا يسمعوها منه كانوا يتعجبون أو يستنكرون.. وأحدهم وهو القديس بطرس قال له: «حَاشَاكَ يَارَبُّ! لاَ يَكُونُ لَكَ هذَا!» (متى ١٦:٢٢) وفي أكثر من مناسبة نبّهم إلى ذلك "لأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُ تَلاَمِيذَهُ وَيَقُولُ لَهُمْ:«إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ فَيَقْتُلُونَهُ. وَبَعْدَ أَنْ يُقْتَلَ يَقُومُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ»" (مرقس٩:٣١) راجع أيضًا (متى ١٧:٢٢ و١٨:٢٠ و مرقس ١٠:٣٣ و١٤:٤١ ولوقا ٩:٤٤ و١٨:٣٢). وهذه كانت أصعب الدقائق التي عاشوها قبل الآلام والصلب..

وفي الطريق حذرهم السيد وربما عاتبهم وربما أشفق عليهم: " قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ:«كُلُّكُمْ تَشُكُّونَ فِيَّ فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنِّي أَضْرِبُ الرَّاعِيَ فَتَتَبَدَّدُ خِرَافُ الرَّعِيَّةِ»" (متى ٢٦:٣١)، ولكن القديس بطرس احتج بحب وغيرة بأنه وان شك فيه الجميع فهو لن يشك، وأنه مستعد أن يموت معه، فنظر إليه الرب في حب وشفقة وأخبره بمرارة بأنه سوف ينكره في

تلك الليلة عينها.. وقد صدق قول الرب، وندم بطرس وتاب، وقَبل الــرب توبته وأعادة الى رتبته قبل صعوده إلى السموات: "أتحبني؟ .. ارع غنمي" (يوحنا ٢١: ١٦،١٧). وتحقق قول الرب، إذ تبدد التلاميذ بعــض القــبض عليه.. ولم يجتمع شملهم إلاّ بعد الأخبار الفرحة بقيامته ثم ظهور الرب لهم أكثر من مرة في أكثر من مكان.

ترك الرب ثمانية منهم في بداية البستان، بينما اصــطحب الثلاثــة بطرس ويعقوب ويوحنا، وهم الثُلاثي الذي رافقه في بعض المهــام، مثــل حادثة التجلي (متى ١٧: ١)، وعند شفاء ابنة يايرُس (مرقس٥: ٣٧)، وحتى بعد صعود السيد المسيح نقرأ في سفر الأعمال كثيرا كيف كان يوحنا مــع بطرس (أعمال٣: ١).

ويرى بعض الشراح أن السيد المسيح فيما يحب الكل (هكذا أحــب الله العالم...) قرّب إليه اثني عشر تلميذاً.. ومن الاثني عشر قرّب إليه ثلاثة أخذهم في مهام خاصة، ومن الثلاثة التصق به يوحنا (التلميذ الــذي كــان يسوع يحبه). أما بطرس فلأنه يحتاج إلى اهتمام خاص وترويض لحماسته، وأما يعقوب فلأنه الأكبر سنا بين التلاميذ، وأمّا يوحنا فلأنه الأصغر ســناً.. هذا يفعله الخدام، لا يميزون ولكن يقدمون اهتمامًا أكبر لمن يحتاج.. هــذا يفعله الآباء والأمهات أيضا دون أن يهملوا الآخرين، وبدأت آلام الســيد .. "ثُمَّ أَخَذَ مَعَــهُ بُطْــرُسَ وَيَعْقُــوبَ وَيُوحَنَّــا، وَابْتَــدَأَ يَــدْهَشُ وَيَكْتَئِــبُ." (مرقس ١٤: ٣٣)

ترك الرب تلاميذه الثلاثة على بُعد رمية حجر، أي حوالي الثلاثين مترًا، وانفرد عنهم وجثا على ركبتيه وصلى "وَانْفَصَلَ عَنْهُمْ نَحْوَ رَمْيَةِ حَجَرٍ وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى" (لوقا ٢٢:٤١). وقد صلى السيد ليس لأنه في احتياج الي ذلك أو أنه منفصل عن الأب أو أقل منه، ولكن صلى ليعلمنا أن نصلي عند المحن، وصلى مقدمًا طاعته الكاملة للآب رغم مرارة الكأس وقسوتها "ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلاً وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي قَائِلاً:«يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ، وَلكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ»." (متى ٢٦:٣٩) راجع أيضا (متى ٢٦:٤٢، ومرقس ١٤:٣٦، ولوقا ٢٢:٤٢). هكذا أطاع السيد حتى الموت موت الصليب. لذلك يصف بعض الآباء هذه الصلاة "**بصلاة التكريس الكامل**".

وقد صلى السيد وعاد إليهم فوجدهم نيامًا في المرات الثلاث، وكان يعاتبهم: "أَهكَذَا مَا قَدَرْتُمْ أَنْ تَسْهَرُوا مَعِي سَاعَةً وَاحِدَةً؟" (متى ٢٦: ٤٠)، وفي النهاية أشفق عليهم قائلاً: " نَامُوا الآنَ وَاسْتَرِيحُوا!" (متى ٢٦: ٤٥). لقد عاتبهم وتعجب كيف أنه يفعل كل ذلك لأجلهم بينما هم لا يدركون ولا يحتملون حتى الأدوار الصغيرة! لقد ناموا... ونسوا أن كل ما يفعله السيد إنما يفعله لأجلهم، لقد تألم نفسياً وبسبب هذه المعاناة الشديدة ارتفع ضغط الدم، ومع أن البعض يرى أن الشعيرات في الجلد قد تفجرت، إلا أنه يمكن أن يؤخذ تعبير "صار عرقه كقطرات دم" قد يعني مجازيا أنه عاني كثيرًا وتصبب عرقًا بغزارة، مثلما نقول "بكى فلان دمًا" أو "بكى بدل الدموع دمًا". ثم نصحهم نصيحة لحياتهم بشكل عام قائلاً: "إِسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي

تَجْرِبَةٍ. أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ" (متى ٢٦:٤١) راجع أيضا: (مرقس ١٤:٣٨ و لوقا٢٢:٤٦). هذه دعوة من السيد المسيح للصلاة مع السهر، أو السهر في الصلاة، حيث يهب ذلك للإنسان قوة يجابه بها التجارب والضيقات، كما دعا السيد المسيح تلاميذه ونحن معهم. إلى ملاحظة أن الجسد لكونه ضعيف فإنه يميل الى الكسل والتراخي، بينما الروح ولأنه نشيط فيجب أن نخضع ذاك لهذا.

وهي الدعوة التي استجاب لها التلاميذ بعد ذلك بأكثر جدية وحرارة عندما اصبحوا هم أنفسهم قادة ورعاه وسلموا هذه الخبرة لأولادهم ورعيتهم؛ فها هوذا القديس بولس يوصي المؤمنين في كولوسي: "وَاظِبُوا عَلَى الصَّلاَةِ سَاهِرِينَ فِيهَا بِالشُّكْرِ" (كولوسي ٤:٢). وقد لبّى الآباء في البرية هذه الدعوة أكثر من غيرهم، حيث رأوا أن حياتهم في العالم لن تحقق لهم أو تمكنهم من أن يحيوا هذه الوصية بكمالها، فتركوا العالم متجهين الى البراري لتتحول حياتهم الى صلاة دائمة، ما بين السواعي والصلوات الليتورجية والصلوات السهمية (صلاة يسوع) لتحقق لهم ربط الفكر بالسيد المسيح دائمًا.. "صلوا بلا انقطاع.. صلوا كل حين .. صلوا ولا تملوا"..

هذا وقد رأى بعض الآباء في مشهد السيد المسيح بمفرده راكعًا، وعلى بعد قليل ثلاثة من تلاميذه وعلى مسافة أكبر نسبيًا منهم الثمانية الآخرون (بعد أن خان يهوذا الكل وانفصل عنهم) رأوا رمزًا للهيكل حيث الدار الخارجية والقدس وقدس الأقداس!!. وعن آلام الرب ومعانات يقول

القديس بولس "الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طَلِبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ، مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ." (عبرانيين ٥:٧،٨).

القبض على الرب:

لم يشأ الرب أن يسلم نفسه لرؤساء اليهود قبل الموعد الذي سبق فحددوه، وهو الذي قال: "لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي، بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضًا..." (يوحنا ١٠:١٨)، كما لم يشأ الرب أن يموت بغير الصليب، فقد حاول اليهود اكثر من مرة أن يرجموه وهو في الهيكل ولكنه خرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم ومضى هكذا (يوحنا ٨:٥٩ و١٠: ٣١) وحاولوا مرة اخرى إلقائه من أعلى الجبل (لوقا ٤:٢٩) وهكذا لم يشأ الرب أن يموت رجمًا ولا بالسيف أو بالنار ولا غرقًا ولا شنقًا، بل بالصليب وفي الوقت المحدد..

عندما قال السيد المسيح لتلاميذه: "نَامُوا الآنَ وَاسْتَرِيحُوا!"، كان الذين جاءوا للقبض عليه قد لاحوا عن بعد، حينئذ قال لهم: " قُومُوا نَنْطَلِقْ! هُوَذَا الَّذِي يُسَلِّمُنِي قَدِ اقْتَرَبَ!" (متى ٢٦:٤٦)، وهذا يعلمنا أنه قد يدركنا الوقت والخطر ونحن غير مستعدين، لأن التلاميذ ناموا ولم يقدروا أن يسهروا ثمّ رأى يسوع ضوء المشاعل عن بعد "وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ، إِذَا يَهُوذَا أَحَدُ الاثْنَيْ عَشَرَ قَدْ جَاءَ وَمَعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَشُيُوخِ الشَّعْبِ." (متى ٢٦:٤٧) أما الجمع الذين كانوا مع يهوذا فهم

اليهود المتعصبون الذين حرّك الرؤساء مشاعرهم ضدّ المسيح، وقد خرجوا بشكل همجي بسيوف وعصي، مما جعل السيد يعاتبهم وكأنهم قد خرجوا للقبض على لص، وفي إنجيل القديس لوقا نقرأ أنه كان مع الجمع بعض من رؤساء اليهود، ربما كانوا من أعضاء السنهدريم، بل أكثر من ذلك نذكر أن عتاب السيد كان موجهًا أيضًا إلى رؤساء الكهنة!! "ثُمَّ قَالَ يَسُوعُ لِرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَقُوَّادِ جُنْدِ الْهَيْكَلِ وَالشُّيُوخِ الْمُقْبِلِينَ عَلَيْهِ:«كَأَنَّهُ عَلَى لِصٍّ خَرَجْتُمْ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ! إِذْ كُنْتُ مَعَكُمْ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْهَيْكَلِ لَمْ تَمُدُّوا عَلَيَّ الأَيَادِيَ. وَلكِنَّ هذِهِ سَاعَتُكُمْ وَسُلْطَانُ الظُّلْمَةِ»." (لوقا٢٢: ٥٢،٥٣). فهل جاء بعض منهم، نحن نعرف أنه في ذلك الوقت كان رئيس الكهنة الرسمي هو قيافا بينما كان حماه حنان ما يزال حيًا ويعمل في الخفاء ويؤثر في قرارات صهره، وأما جند الهيكل فهم الحراس اليهود الذين كانوا يقومون بالحراسات داخل الهيكل ولهم قائد يدعى "قائد جند الهيكل" هذا يعني أن القبض على يسوع لم يأت بأمر من الرومان، ولكن اليهود أنفسهم هم الذين بادروا بذلك وحاكموه قبل أن يسلموه الى الرومان في الصباح.. "فَأَخَذُوهُ وَسَاقُوهُ وَأَدْخَلُوهُ إِلَى بَيْتِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ. وَأَمَّا بُطْرُسُ فَتَبِعَهُ مِنْ بَعِيدٍ" (لوقا٢٢: ٥٤).

عندما قرروا القبض عليه، كان يهوذا هو الدليل إذ كان يعرف الموضع الذي اعتاد المسيح أن يقضي فيه أوقاتا كثيرة مع تلاميذه وكان يهوذا معهم في كل مرة، وقد خشى رؤساء اليهود أن يقبضوا على شخص آخر غير المسيح في ضل الضوء الخافت، فقام يهوذا بدلّهم على المكان ثم دلهم على الشخص المطلوب وذلك من خلال القبلة..

قبلة يهوذا:

هي أشهر وأسوأ قبلة في التاريخ، كان ظاهرها الحب وباطنها الخيانة، وبينما تعني القبلة "لغةً" قبول الآخر واقتبال الآخر والرغبة في الاحتفاظ به في الداخل وفي العمق، كان يهوذا في الواقع يرفض السيد ويبيعه، والكلمة "قبلة" الواردة هنا تأتي في الأصل اليوناني "قبّله كثيرًا" "فَلِلْوَقْتِ تَقَدَّمَ إِلَى يَسُوعَ وَقَالَ: «السَّلاَمُ يَا سَيِّدِي!» وَقَبَّلَهُ." (متى ٢٦:٤٩) انظر أيضًا (مرقس ١٤:٤٥).

وفي باكر خميس العهد نتذكر ذلك بمرارة ونحن نعيش طقس خيانة يهوذا، وندور في الكنيسة في اتجاه عكسي ونردد لحن "يوذاس" الذي يروي بألم شديد مافعله يهوذا، ومنذ ليلة الأربعاء ونحن نلتزم طقس عدم التقبيل في الكنيسة لكي لا ننسى أن يهوذا سلّم السيد بقبلة غاشة ونرتل مزمور "كلامه ألين من الدهن وهو مصال" وهو اللحن المعروف "آف اتشنون" والمأخوذ من المزمور ٥٥ "أَنْعَمُ مِنَ الزُّبْدَةِ فَمُهُ، وَقَلْبُهُ قِتَالٌ. أَلْيَنُ مِنَ الزَّيْتِ كَلِمَاتُهُ، وَهِيَ سُيُوفٌ مَسْلُولَةٌ." (مزمور ٥٥:٢١)

من تطلبون؟!:

عندما سألهم السيد المسيح من تطلبون؟ كان السؤال تبكيتًا لهم من جهة ومن جهة أخرى استنكارًا لما أقدموا عليه، وليس عجيباً أن يردوا عليه بسذاجة: "يسوع الناصري" فهم يطلبون شخصًا هو في نظرهم مجرد إنسان

مهيج للشعب.. مخالف للناموس.. ابن النجار.. كما انه من الناصرة لا يمكن أن يخرج شئ صالح!! (يوحنا ١:٤٦).

أنا هو:

عندما أجابهم السيد المسيح بهذه العبارة "أنا هو" رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض "فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ:«إِنِّي أَنَا هُوَ»، رَجَعُوا إِلَى الْوَرَاءِ وَسَقَطُوا عَلَى الأَرْضِ." (يوحنا١٨:٦). وقد يتعجّب القارئ من ذلك، فقد جاءوا ومعهم يهوذا للقبض عليه دون أن يلتبس عليهم الأمر، ولكنهم يرتعبون ويسقطون!، والسبب ببساطة أن السيد عندما قال لهم "أنا هو" كان يعلن عن نفسه أنه هو الله " إيجو ايمي" أو ما يوازي في العهد القديم "يهوه" وقد صدمهم الرد عندما فوجئوا أنهم في مواجهة مع الله ذاته، فقد كان من العادة ألا ينطقوا لفظة يهوه بشفاههم البتة، ومتى كانوا يقرأون وجاءوا عند هذه الكلمة استبدلوها في النطق بـــ "أدوناي" أي السيد، ولم يتوقعوا أبدًا أن الشخص الذي جاءوا للقبض عليه سوف يعلن عن نفسه هكذا..

ومع ذلك أغلقوا قلوبهم وأذهانهم دون الحق "لِكَيْ يُبْصِرُوا مُبْصِرِينَ وَلاَ يَنْظُرُوا، وَيَسْمَعُوا سَامِعِينَ وَلاَ يَفْهَمُوا، لِئَلاَّ يَرْجِعُوا فَتُغْفَرَ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ»." (مرقس٤:١٢) ولم يستطيعوا القبض عليه إلاّ عندما سمح هو لهم بذلك. ثم قال لهم دعوا هؤلاء يذهبون (يوحنا ١٨:٩). هكذا سقط الانسان في بستان وافتُدى في بستان.

جثسيماني الآن:

توجد في الموضع الآن كنيسة مبنية تُدعى "كنيسة كل الأمم" بُنيت في الفترة مابين ٣٨٠-٣٩٠م. وقد ذكرتها الحاجة إيثريا السائحة الأسبانية (إيجيريا) في القرن الرابع، وقد اكتُشفت أساساتها تحت الكنيسة الحالية.





(٤) قيـــافـــا .. رئيس الكهنة

(٤)

قيافا رئيس الكهنة

فَقَالَ لَهُمْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، وَهُوَ قَيَافَا، كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ:«أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَ شَيْئًا»

(يوحنا ١١:٤٩)

هو يوسف قيافا الذي تولّى رئاسة الكهنوت في الفترة (من ١٨-٣٦م.) ولن يتعجّب المطالع عندما يقرأ تعبير "رئيسًا للكهنة في تلك السنة" ذلك لأن رؤساء الكهنة كانوا يتغيرون كثيرًا من قِبَل الحكام السياسيين، إمّا عقابًا لهم وإمّا لرشوة أكبر يدفعها شخص آخر فتتحول رئاسة الكهنوت إليه، حتى أصبح الكهنوت يُباع ويُشترى بهذه الطريقة، وقد بدأ ذلك منذ عهد المكابيين في القرن الثاني قبل الميلاد، فقد نُفي رئيس الكهنة المحبوب (حونيا الثالث) إلى مصر من قبل السلوقيين، وتعاقب بعده ثلاثة من رؤساء الكهنة عن طريق الرشوة والتدليس وهم ياسون وألكيمس ومنلاوس.

وفي أيام السيد المسيح كان قيافا هو رئيس الكهنة الرسمي، بينما كان حماه حنان هو رئيس الكهنة الفعلي والمحرك الحقيقي لصهره قيافا، وكان أشر كثيرًا منه، ولذلك ذكر الاسمان معًا "فِي أَيَّامِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ حَنَّانَ وَقَيَافَا، كَانَتْ كَلِمَةُ اللهِ عَلَى يُوحَنَّا بْنِ زَكَرِيَّا فِي الْبَرِّيَّةِ" (لوقا ٣: ٢). وقيافا هذا هو المسئول الأول عن صلب المسيح من جهة الإجراءات والدسائس، مثلما كان المسئول الأول عن اضطهاد المسيحيين في بكور العصر الأول

للمسيحية "وَحَدَثَ فِي الْغَدِ أَنَّ رُؤَسَاءَهُمْ وَشُيُوخَهُمْ وَكَتَبَتَهُمُ اجْتَمَعُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ مَعَ حَنَّانَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ وَقَيَافَا وَيُوحَنَّا وَالإِسْكَنْدَرِ، وَجَمِيعِ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ عَشِيرَةِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ." (أعمال ٤:٥،٦). لقد أضمر في قلبه أن يدمّر الكنيسة بعد صلب المسيح، في حين أن بيلاطس البنطي نفسه لم يشغل باله بالمسيح والمسيحيين بعد الصلب، مثلما كان يرغب في إطلاق سراح المسيح لولا إصرارهم على التخلص منه، هكذا عاتبهم القديس بطرس ".. الَّذِي أَسْلَمْتُمُوهُ أَنْتُمْ وَأَنْكَرْتُمُوهُ أَمَامَ وَجْهِ بِيلاَطُسَ، وَهُوَ حَاكِمٌ بِإِطْلاَقِهِ." (أعمال ٣:١٣). لقد كان قيافا ما يزال في منصبه عندما أمر بعد سنوات بالقاء الرسل في السجن، كما أباح رجم استفانوس رئيس الشمامسة، وهو الذي سلّم شاول الرسائل إلى رؤساء المجمع في دمشق للقبض على المسيحيين.

من هو قيافا..

قيافا اسم أرامي معناه صخرة، وأول مرة نسمع عن قيافا، كان عند كرازة يوحنا المعمدان، حيث يسجل القديس لوقا (وهو مؤرخ من النوع الممتاز) تاريخ العمل التبشيري ليوحنا، أن ذلك كان في أيامه (لوقا ٣: ١) وهو صدوقي أرستقراطي، ينتمي إلى عائلة صادوق رئيس الكهنة الذي عينه سليمان الحكيم لينهي كهنوت عالي الكاهن ويعيد عائلة فينحاس إلي هذه الخدمة كما وعده الرب (عد ٢٥: ١٢، ١٣). وقد عُرف عن الصدوقيين استخفافهم بالملائكة والسماء والأرواح، مقابل الفريسيين الذين عُرف عنهم

تمسكهم بالتقاليد ومحبتهم للتصوف، تزوج قيافا من إبنة حنان الرئيس السابق للكهنة.

تعيينه في رئاسة الكهنوت:

عينه فاليروس جرانوس الحاكم السوري والمسئول عن منطقة اليهودية والوالي الذي فيها، فقد عزل حنان وعين مكانه آخر يُدعى "إسماعيل بن فابي" ثم عزله وعين بدلاً منه "ألعازر" وهو بن "حنان" المُشار إليه هنا، وأخيرًا جاء قيافا صهر حنان. وكان قيافا نفسه هو الخامس عشر في سلسلة رؤساء الكهنة على مدار ستين سنة!، ويجدر بالذكر أنه خلال مائة سنة وعشرة تغير رؤساء الكهنة ثماني وعشرين مرة، لقد كان مجرد أن يحدث شغب على درجات سلم الهيكل كفيل بأن يُعزل رئيس الكهنة! وعندما عُزل قيافا في سنة ٣٦م. (في العام السابق لعزل بيلاطس البنطي من منصبه) كان يتوجب على الحاكم البحث عن أسرة كهنوتية اخرى، وفي ذلك الوقت كان هناك ست اسر كهنوتية في اليهودية، وكان ذلك يعني أن اسرة حنان وقيافا سوف تفقد ما تجره عليها رئاسة الكهنوت من مكاسب وغنائم من الهيكل، من خلال الصرافة وأنصبتهم منها ومن قطعان الماشية التي كان لهم نسبة فيها أيضًا وكذلك بعض مصادر تجارية..

حنّان رئيس الكهنة:

أشرنا إلى أن قيافا ومع أنه كان رئيس الكهنة الرسمي وقت صلب السيد المسيح، إلاّ أن المحرك الرئيسي له كان حنان حماه، فمن هو حنان

هذا؟. هو رئيس الكهنة الذي كان الحاكم فاليروس قد خلعه قبل عشرين عامًا مضت على أحداث الصلب، وكان هيرودس الكبير قد استدعاه هو واسرته لكي يعينه في الحكم بشكل أو بآخر، ثم عينه رئيسًا للكهنة، وقد سيطر على رئاسة الكهنوت لمدة طويلة، لا سيّما وأن خمسة من أولاده – بخلاف قيافا– تولوا رئاسة الكهنوت، ولأنه كان غنيًا جدًا فقد استطاع شراء هذه الرتبة لهم. وفي هذا الصدد يذكر التاريخ اليهودي أن "مارثا بنت يوسيوس" استطاعت أن تشتري رئاسة الكهنوت لزوجها "يشوع بن جمالا" وقد فرشت له الطريق من منزله إلى الهيكل لكي تشاهده وهو يقدم الذبيحة، أما هو فقد صنع له قفازين من الحرير لئلا تتسخ يداه من جراء تقديم الذبيحة!!.

هذا وقد قررت السلطات الرومانية أن تحتفظ بملابس رئاسة الكهنوت الرسمية وذلك في قلعة أنطونيا (وهي قلعة رومانية تشرف على الهيكل)، يتسلمها رئيس الكهنة في المناسبات الرسمية، على أن يعيدها من جديد بعد الانتهاء من الخدمة في اليوم ذاته، بينما كان رئيس الكهنة على المستوى الطقسي يخضع لما يشبه الاختبار أو المراجعة الطقسية مرة كل عام، في مناسبات هامة مثل عيد المظال ويوم الكفارة، وعيد الفصح، وذلك لئلا يخطئ في إجراء الطقس فيتسبب ذلك في التوتر واستياء الشعب، ولعل ذلك قد جاء بسبب أن الإسكندر جنايوس قد أخطأ في طقس سكب المياه – التي كان يجلبونها من بركة سلوام باحتفال كبير – في اليوم الأخير من عيد المظال، حيث يكسرها رئيس الكهنة ليسكبها بجوار المذبح، في إشارة إلى صخرة حوريب التي تفجّر منها الماء ليشرب الشعب في البرية..

والسبب في هذا الارتباك والخطأ، هو أن رؤساء الكهنة جمعوا في فترة من الفترات (عصر المكابيين) بين رئاسة الكهنوت والإدارة السياسية، بداية من سمعان المكابي وحتى احتلال الرومان للمنطقة في القرن الأول قبل الميلاد، وبالتالي لم يكن لديه الوقت الكافي لدراسة ومراجعة طقوس الخدمة في الهيكل..

في محاكمة السيد المسيح كان كل من حنان وقيافا يسكنان في سراي رئيس الكهنة في أورشليم، والتي كانت مقامة داخل فناء فسيح يصلون إليها من خلال ممر (بهو) كبير مسقوف ينتهي ببضع درجات إلى الموضع الذي حوكم فيه السيد المسيح دينيًا أمامهم. عندما أتى به الجند وبعض من رعاع الشعب اتجهوا أولاً إلى حنان حيث أرسله هذا بدوره مقيدًا إلى قيافا، وفي هاتين المحاكمتين كان السيد ينتقل فقط من جناح إلى آخر داخل القصر نفسه.

وكانت المحاكمة الأولى أمام حنان عبارة عن مؤامرة، بينما كانت الثانية أمام قيافا عبارة عن أخذ أقوال، وأما المحاكمة الدينية الثالثة فكانت أمام مجلس السنهدريم، والتي كانت -بحسب الشكل فقط- المحاكمة القانونية الوحيدة.. لأنه لا يحق لرئيس الكهنة بمفرده محاكمة شخص وحتى عندما عقدوا مجلسًا مصغرًا من السنهدريم تحت جنح الظلام، ومع ذلك فقد أخطأ السنهدريم لأنه عقد جلسته ليلاً وأصدر حكمًا بالموت وهو ما لا يجوز بحسب التقليد اليهودي (راجع مقال السنهدريم داخل هذا الكتاب).

ارتعب قيافا من يسوع الصامت الواقف امامه في هـدوء ووقـار، فنزل إلى الوسط واستحلفه إن كان هو المسيح ابن المبـارك (استمر السـيد المسيح صامتا إلى أن استحلفه قيافا وهنا كان يجب أن يـرد) فلمـا أجابـه بالإيجاب هاج قيافا ومزق ثيابه وسأل مستنكرا "ما حاجتنا بعد إلى شهود.. فقد جدف!": "فَمَضَوْا بِيَسُوعَ إِلَى رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، فَاجْتَمَعَ مَعَهُ جَمِيعُ رُؤَسَـاءِ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ وَالْكَتَبَةُ ... فَقَامَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ فِي الْوَسْـطِ وَسَـأَلَ يَسُـوعَ قِائِلاً:«أَمَا تُجِيبُ بِشَيْءٍ؟ مَاذَا يَشْهَدُ بِهِ هؤُلاَءِ عَلَيْكَ؟» أَمَّا هُوَ فَكَانَ سَاكِتًا وَلَمْ يُجِبْ بِشَيْءٍ. فَسَأَلَهُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ أَيْضًا وَقَالَ لَهُ:«أَأَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ الْمُبَارَكِ؟» [٦٢]فَقَالَ يَسُوعُ:«أَنَا هُوَ. وَسَوْفَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِيًا فِي سَحَابِ السَّمَاءِ». فَمَزَّقَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ ثِيَابَهُ وَقَالَ:«مَا حَاجَتُنَا بَعْـدُ إِلَى شُهُودٍ؟ قَدْ سَمِعْتُمُ التَّجَادِيفَ! مَا رَأْيُكُمْ؟» فَالْجَمِيعُ حَكَمُـوا عَلَيْـهِ أَنَّـهُ مُسْتَوْجِبُ الْمَوْتِ. فَابْتَدَأَ قَوْمٌ يَبْصُقُونَ عَلَيْهِ، وَيُغَطُّـونَ وَجْهَـهُ وَيَلْكُمُونَـهُ وَيَقُولُونَ لَهُ:«تَنَبَّأْ». وَكَانَ الْخُدَّامُ يَلْطِمُونَهُ." (مرقس١٤:٥٣-٦٥).

أمّا تمزيق الثياب فهو الإجراء الذي يعني الاحتجاج الشـديد علـى التجديف، وقد رأى الكثير من الآباء في هذا التصرف شق الكهنوت اللاوي وانتهاءه !!، لا سيما وقد كان إجراء مماثل يُتخذ في وقت ما ضد الهراطقة والمبتدعين في حالة اصرارهم...

عند ذلك هتف الحاضرين "إيش مافت" أي "مستحق الموت"

تقول بعض مصادر من التقليد أن قيافا مضى ليلاً إلى بيلاطس البنطي في مسكنه، وأطلعه على القضية واستطاع إقناعه بأنه من الأفضل التخلص من ذاك المشاغب (حسب تصوّره) قبل احتفالات الفصح، بعد أن كانوا قد قرروا القبض عليه في العيد ولكنهم تراجعوا لئلا تندلع المظاهرات المؤيدة له فتأتي الخطة بنتيجة عكسية، وحاول قيافا إقناع بيلاطس بأنهم قد وفروا عليه عناء المحاكمة وأخذ الأقوال بحجة الحرص على وقته، واتفق معه على أن يقوم في الغد بالتصديق على الحكم بموته، ولكن بيلاطس في الصباح فاجأهم بأنه سيعيد النظر في القضية برمتها، وأثناء محاكمته للمسيح أيقن أنه بريء وانه أُسلِم إليه حسدًا، مما ضايق قيافا جدًا وجعله يهدد بيلاطس ويهيج الشعب ضده بأنه في حالة اطلاق سراح يسوع سيكون مقاومًا للقيصر، والعجيب هنا أن قيافا عندما فشل في الدين لجأ إلى السياسة، أي أنه عندما لم يستطع أن ينتزع من بيلاطس الحكم بصلب المسيح بسبب المبررات الدينية التي ساقها إليه بدأ في الضغط السياسي (يوحنا ١٩: ٤-١٤).

هكذا تخبّط رئيس الكهنة في سلوكه وتصريحاته، فكيف ينادي اليهود بالحرية من نير الرومان ويسعون في طردهم والبحث عن حاكم يهودي للعودة إلى الحكم الثيؤقراطي، وفي الوقت ذاته يهيجون الرومان ضد أحد رعاياهم، كيف يقدمون المسيح على أنه متّهم بأنه يجعل من نفسه ملكًا ويدّعون أنه ليس لهم ملك إلآ قيصر، وفي الوقت ذاته لا يدخلون إلى دار الولاية لئلا يتنجسوا. بل قاموا بثورات كثيرة ضد الرومان.. هنا ونتذكر

كيف أنهم حاولوا التصيّد للسيد المسيح أكثر من مرة، كانت إحداها عندما سألوه أيجوز لنا أن نعطي الجزية لقيصر أم لا.. فإذا وافق قالوا عنه أنه خائن واذا رفض وشوا به لدى الرومان باعتباره مناهضًا لروما، ولكن السيد بسؤاله لهم عن الكتابة والصورة التي على الدينار أراد أن يقول لهم: ما دمتم تحت سلطان روما بدليل استخدام عملتها فعليكم الخضوع لقوانينها، هذا ويجب الانتباه إلي أن العملة الرسمية لم تكن شاقل القدس (شاقل الهيكل) بل الدينار الرومانية، وأمّا شاقل الهيكل فكان الحجاج يشترونه من الهيكل لتقديم تبرعاتهم وشراء ذبائحهم، وهذا هو سبب وجود الصيارفة في الهيكل..

هذا ويسجل التلمود عن حنان وقيافا: "الويل لبيت حنان.. الويل لبيت قيافا.. الويل لفصح الأفاعي.. الويل للبيت الذي اضطهد شعب الله .. الذي ضرب العابدين بالعصي..!!!"



(٥) مجلــس الســنــهــدريــم

(٥)

مجلس السنهدريم

هو أعلى سلطة تشريعية وقضائية يهودية، وهـو يقابـل مجلـس الشعب المصري ومجلس العموم البريطاني ومجلـس الشـيوخ الرومـاني والأمريكي، وهو يختلف عن الباقين في أنه ديني وقضائي أيضًا إلى جوار أنه تشريعي، وفي الأوقات التي كان اليهود يحكمون أنفسهم بأنفسهم كان هذا المجلس بمثابة الحكومة..

تأتي كلمة سنهدريم من اللفظة اليونانية "زيندريون" *Zynedrion* والتي تعني "الجالسون معًا" وهكذا تعني لفظة سنهدرين وفي العبري سنهدريم مجمعًا أو مجلسًا أو مؤتمرًا، ومنها جاءت لفظة سينود *Synod* المستخدمة الآن على نطاق واسع في الكثير من الكنائس. نشأت فكرة السنهدريم قبل المسيح بعدة قرون وبالتحديد عندما سُمح لليهود في بعض المجتمعات في السبي مثل بابل، أو بعد العودة من السبي حين لم يكن لهم ملك من الخارج فقام رئيس الكهنة بالدورين السياسي والديني، غير أن الفكرة نفسها موجودة منذ أيام موسى النبي حين نصحه يثرون حميه بأن يختار سبعين شيخًا يعاونونه في تصريف شئون الشعب ويفصلون في القضايا الصغيرة، وأيّد الرب الفكرة وباركها "فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اجْمَعْ

إِلَيَّ سَبْعِينَ رَجُلاً مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ شُيُوخُ الشَّعْبِ وَعُرَفَاؤُهُ، وَأَقْبِلْ بِهِمْ إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ فَيَقِفُوا هُنَاكَ مَعَكَ. فَأَنْزِلَ أَنَا وَأَتَكَلَّمَ مَعَكَ هُنَاكَ، وَآخُذَ مِنَ الرُّوحِ الَّذِي عَلَيْكَ وَأَضَعَ عَلَيْهِمْ، فَيَحْمِلُونَ مَعَكَ ثِقْلَ الشَّعْبِ، فَلاَ تَحْمِلُ أَنْتَ وَحْدَكَ." (سفر العدد ١١:١٦، ١٧). ومع الوقت أصبح هناك ممثلون عن الشعب، عُبِّر عنهم بشيوخ الشعب ورؤساء الشعب " هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: «اذْهَبْ وَاشْتَرِ إِبْرِيقَ فَخَّارِيٍّ مِنْ خَزَفٍ، وَخُذْ مِنْ شُيُوخِ الشَّعْبِ وَمِنْ شُيُوخِ الْكَهَنَةِ" (ارميا١٩:١) ويرد مثل هذا التنظيم في سفري المكابيين أيضًا، فنقرأ في رسالة سمعان المكابي إلى الرومان: "في مجمع عظيم من الكهنة والشعب ورؤساء الأمة وشيوخ البلاد ثبت عندنا إن قد وقعت حروب كثيرة في البلاد" (مكابين أول ١٤: ٢٨). وهكذا نقرأ في أحداث الصلب: "وَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ تَشَاوَرَ جَمِيعُ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَشُيُوخُ الشَّعْبِ عَلَى يَسُوعَ حَتَّى يَقْتُلُوهُ" (متى ١:٢٧)، كما اعتبر رؤساء الشعب هم شيوخ وأراخنة الأمة "ر^٨حِينَئِذٍ امْتَلأَ بُطْرُسُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَقَالَ لَهُمْ:«يَا رُؤَسَاءَ الشَّعْبِ وَشُيُوخَ إِسْرَائِيلَ ... »" (أعمال ٨:٤) وعلى المستوى الكنسي يُسمى الرؤساء أراخنة، حيث أن كلمة أرخن في القبطية تعني رئيس "أرشي وأرخون".

وفي بعض الأحيان يوجد أكثر من مجلس فهناك المجلس الملي والمجلس الاكليريكي والمجمع المقدس والمجالس الملية الفرعية والمجالس الاكليريكية الفرعية، وأراخنة لا يضمهم مجلس رسمي ولكنهم فعّالون ومحبون يعملون دون إطار رسمي أو لقب، نقرأ في سيرة البابا يعقوب

المسمّى بالعمود الفضي أن أرخنًا فاضلاً يدعى شنوده قام بدور رائع في الكنيسة أثناء غياب البابا.. وفي أيام السيد المسيح كان هناك ثلاثة انواع (أو درجات) من السنهدريم:

أ- المجلس القروي ويضم سبعة أعضاء ويفصل في القضايا المحلية الصغيرة.

ب- المجلس المديني (من مدينة) ويضم ثلاثة وعشرين عضوًا ويختص بأمور المدينة.

ج - المجلس الأعلى وهو الرئيسي ويوجد في أورشليم ويتكون من سبعين عضوًا يرأسهم رئيس الكهنة، وكان يُسمى داخل المجلس بـ "نـازي" أي الزعيم.

ويتكون مجلس السنهدريم من ثلاث فئات من الشعب: الصدوقيون ومنهم الكهنة ورؤسائهم، وهم لا يؤمنون بالملائكة ولا القيامة من الأموات، ثم الشيوخ وهم الأراخنة أو رؤساء الشعب، ثم الكتبة وهم طبقة المثقفين من الشباب دينيًا ومفسرون للأسفار وأكثرهم من الفريسيين، (والكاتب اصطلاحًا يعني اللاهوتي) وكان الكتبة هم معلمو الشعب.

وقد جاء ذكر هذه الفئات الثلاث عند محاكمة الرسل بعد حلول الروح القدس "وَحَدَثَ فِي الْغَدِ أَنَّ رُؤَسَاءَهُمْ وَشُيُوخَهُمْ وَكَتَبَتَهُمُ اجْتَمَعُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ" (أعمال ٤:٥)، وذُكر شيوخ الشعب بمفردهم: "وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ، إِذَا يَهُوذَا أَحَدُ الاثْنَيْ عَشَرَ قَدْ جَاءَ وَمَعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ مِنْ عِنْدِ

رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَشُيُوخِ الشَّعْبِ." (متى ٢٦:٤٧)، بينما ذُكر المجمع في موضع آخر "فَجَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ مَجْمَعًا وَقَالُوا:«مَاذَا نَصْنَعُ؟ فَإِنَّ هذَا الإِنْسَانَ يَعْمَلُ آيَاتٍ كَثِيرَةً.»" (يوحنا ١١:٤٧). كما ورد ذكر مشيخة الشعب (الشيوخ) ورؤساء الكهنة والكتبة في موضع آخر "وَلَمَّا كَانَ النَّهَارُ اجْتَمَعَتْ مَشْيَخَةُ الشَّعْبِ: رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ، وَأَصْعَدُوهُ إِلَى مَجْمَعِهِمْ" (لوقا٢٢:٦٦). هذا وقد منح الرومان مجلس السنهدريم الكثير من الحقوق الدينية وبعض الامتيازات المدنية، في حين نقرأ أن هيرودس الكبير كان قد أمر بقتل بعضًا من أعضائه مع أشراف آخرين عندما يعلن خبر موته...

وكان المجلس يتخذ شكل نصف دائرة أو حرف "يو" U، ويجلس رئيس الكهنة باعتباره رئيس المجلس في الوسط مقابل الكل، وفي بعض الجلسات يتكون المجلس من ثلاث صفوف، الأول للمجلس الرسمي والثاني يتكون من تلاميذ الأعضاء والثالث من عامة الشعب، فإذا نقص عدد أعضاء السنهدريم يُختار من تلاميذهم من يحل محله، في حين يُختار من الشعب من يحل محل التلميذ وهكذا. وقيل أن كرسيًا في مجلس السنهدريم كان يترك خاليًا ويسمى "كرسي موسى" على اعتبار أن جلسة المجلس امتداد لعمل موسى المشرع "موسى بي نوموستيس" وكأنه حاضر معهم، وربما ظن البعض أن تعبير السيد المسيح في (متى ٢٣: ٢) "عَلَى كُرْسِيِّ مُوسَى جَلَسَ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ"، أنهم كانوا يجلسون بالفعل على الكرسي المشار إليه والمخصص لموسى، ولكن الأرجح أن السيد قصد بكرسي موسى

"حق التشريع والتعليم". جدير بالذكر هنا أن اليهود كانوا يحتفظون بكرسي خالٍ في ولائمهم الطقسية، وكانوا يسمونه "كرسي إيليا"!

السنهدريم ومحاكمة المسيح:

كان من حق رئيس الكهنة أن يدعو لعقد مجلس السنهدريم لأي أمر طاريء، وبخصوص السيد المسيح كانت أول اشارة الى ذلك في إنجيل يوحنا "وَكَانَ أَيْضًا رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ قَدْ أَصْدَرُوا أَمْرًا أَنَّهُ إِنْ عَرَفَ أَحَدٌ أَيْنَ هُوَ فَلْيَدُلَّ عَلَيْهِ، لِكَيْ يُمْسِكُوهُ." (يوحنا ١١:٥٧). وفي الثاني والعشرين من شهر فبراير من ذلك العام أصدر مجلس السنهدريم أمرًا بالقبض على المسيح، فكُتبت رسائل من المجلس مختومة بخاتمه وخاتم رئيس الكهنة إلى شيوخ الشعب في المدن والقرى كما دار منادٍ في الشوارع يعلن القرار، وهذا نصه:

مطلوب القبض عليه

[مطلوب القبض على يسوع الناصري، وسيُرجم لأنه مارس السحر وأغوى اسرائيل وجعله يرتد. أي شخص يستطيع أن يقول شيئًا لمصلحته فليأتِ ليدافع عن نفسه، وأي شخص يعرف مكانه فليعلن عنه لمجلس السنهدريم في أورشليم]

وهذا هو الأمر الذي بموجبه تم القبض عليه في بستان جثسيماني، ومع أن المسيح كان معهم في الهيكل كل يوم يعلم إلا أنه لم يكن قد صدر أمر من الرئاسة الدينية بعدم شرعية المسيح وتعليمه، وكذلك تحذير الشعب منه، وقد عجل بهذا القرار معجزة إقامة لعازر ورد الفعل الذي نتج عنها حيث خشوا أن يذهب الشعب كله وراءه (يوحنا ١٢).

بعد القبض على المسيح حوكم مرة أمام حنان وأخرى أمام قيافا، ولم تكن تلك المحاكمات قانونية بحسب الشريعة والقوانين اليهودية، إذ أن المحاكمات الرسمية كانت من اختصاص السنهدريم، كما أن الأمر الصادر من السنهدريم يقضي بعرضه عليه شخصيًا..

وقف المسيح أمام مجلس السنهدريم بعد حنان وقيافا، راجع (متى ٢٦:٥٧-٦٦) حيث يشار إلى السنهدريم هنا بالمجمع، هذا بخلاف الأحاديث التي دارت بين المسيح ورئيس الكهنة وهتاف الجمع وقرار الجميع بأنه مجدف يستحق الموت. ومن مجلس السنهدريم مضوا به إلى بيلاطس البنطي. (يُذكر أيضا أن الرسل قد وقفوا لاحقًا أمام مجلس السنهدريم في بداية كرازتهم (أعمال ٤:٥-٢١ ، ٥:٢١-٤٠))، وبذلك تم قول الرب لهم أنهم سيُحاكمون مثله: "وَقَبْلَ هذَا كُلِّهِ يُلْقُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، وَيُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى مَجَامِعَ وَسُجُونٍ، وَتُسَاقُونَ أَمَامَ مُلُوكٍ وَوُلاَةٍ لأَجْلِ اسْمِي" (لوقا ٢١ : ١٢).

حوكم المسيح ليلاً، ومن هناك تأتي عدم قانونية المحاكمة، لا سيما وأنها أصدرت حكمًا بالموت ليلاً، وهناك مقولة في التلمود مفادها أن مجلس السنهدريم الذي يصدر أحكامًا بالإعدام أكثر من مرة خلال سبع سنوات يُحسب متسرعًا عجولاً حامي الطبع.

هذا وقد تخيل قيافا أنه بإصداره حكمًا بقتل المسيح بالتعاون مع السنهدريم قد حسم قضية لطالما أرّقته وأنه تخلص من شخص عانى بسببه كثيرًا، وتوقع قيافا أن بيلاطس سيصدق على الحكم ببساطة ولكن الأخير خيب ظنه في الصباح عندما قرر نظر القضية بكاملها من أولها!!. ولنا أن نتعجّب كيف يجتمع هذا المجمع السنهدريمي ليقيم قضاء الله وعدله فيحكم على الله نفسه.



(٦) يهــوذا الإســخريــوطــي

(٦)

يهوذا الاسخريوطي

وَالَّذِي أَسْلَمَهُ أَعْطَاهُمْ عَلاَمَةً قَائِلاً:
«الَّذِي أُقَبِّلُهُ هُوَ هُوَ. أَمْسِكُوهُ»
(متى ٢٦:٤٨)

طوال الوقت الذي قضيته في كتابة هذه المقالات حول أحداث الصلب،لم أشعر بالاستياء والشفقة والغرابة إلاّ مع هذه الشخصية، فالرومان وثنيون لا يعنيهم الأمر، ورؤساء اليهود كانت لهم مصالحهم والتي تعارضت مع رسالة المسيح، والجموع التي هتفت في بيلاطس "اصلبه اصلبه" لم تكن تدري جيدًا ما تقول بسبب الحماسة الطارئة والتضليل، أمّا يهوذا فقد كان تلميذاً وأميناً لصندوق الجماعة، وقد خصّه المسيح بهذا الشرف أن يكون من خاصته من بين ملايين، فلماذا يخون وما هو المقابل؟ هلموا نقترب من هذه الشخصية ونحاول إلقاء الضوء عليها ونغوص في داخلها قليلاً.

في إنجيل القديس يوحنا الاصحاح الثاني عشر نواجه صورتين متناقضتين، المرأة الخاطئة التي سكبت الطيب على قدمي المسيح، فهي خاطئة محتقرة من مجتمع محافظ وشكلي في آن واحد، ومع ذلك فهي تقدم توبة للمسيح واكرامًا له بحب وصدق، ثمّ يهوذا والمحسوب ضمن تلاميذ

الرب وأمين الصندوق يفكر بحسد وغش، ينكر على المرأة محبتها وإكرامها للرب، كما ينكر على الرب أيضا قبوله لقربان تلك الخاطئة (يوحنا ١٢: ١-٨). ولكن الرب خصّها بمكافأة غير متوقعة، إذ خلّد فعلها وأمر بالمناداة بما قدمته حيثما كُرز بالانجيل "اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: حَيْثُمَا يُكْرَزْ بِهذَا الإِنْجِيلِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ، يُخْبَرْ أَيْضًا بِمَا فَعَلَتْهُ هذِهِ تَذْكَارًا لَهَا" (متى ٢٦: ١٣) راجع أيضا (مرقس١٤: ٩). هذه فعلت بحب وذاك بكّت برياء..

ومع أن قصة يهوذا صريحة وواضحة ومكتملة الأركان من جهة التآمر والتنفيذ، إلا أنه شخصيًا يُعد الأشد سذاجة بين الذين اشتركوا في دراما الصلب، ولكن من هو يهوذا؟

يهوذا الاسخريوطي:

معنى الاسم: "إياك يحمد اخوتك" (أي محمود أو ممدوح)، وقد ارتبط اسمه بإحدى صفتين، إما الإسخريوطي (أي رجل من قريوط)، وإما "يهوذا مُسلِّمه" أو "يهوذا الذي أسلمه". اسمه بالكامل "يهوذا سمعان الاسخريوطي" هكذا لم يكن يهوذا هذا جليليًا مثل التلاميذ، لأن قرية "قريوط" تقع جنوب اليهودية بينما يقع الجليل في الشمال (يوحنا ١٣: ٢). وعندما يُذكر يهوذا الآخر (الذي هو تدّاوس أو لبّاوس) فإنه لا يذكر باسمه كاملاً، وإنما مميزًا عن يهوذا الاسخريوطي!! وكأنه يخشى أن يخلط القاريء أو السامع فيما بينه وبين التلميذ الخائن "قَالَ لَهُ يَهُوذَا لَيْسَ الإِسْخَرْيُوطِيَّ:

«يَا سَيِّدُ، مَاذَا حَدَثَ حَتَّى إِنَّكَ مُزْمِعٌ أَنْ تُظْهِرَ ذَاتَكَ لَنَا وَلَيْسَ لِلْعَالَمِ؟»" (يوحنا ١٤:٢٢) ولذلك فإننا لم نسمع أن أحدًا من البطاركة أو الأساقفة قد دُعي بهذا الاسم!.

كما لُقِّب أيضا بالخائن تمييزًا له عن خمسة آخرين حملوا نفس الاسم:

١- **يهوذا أخو الرب:** وهو أخو يعقوب ويوسي وسمعان "أَلَيْسَ هذَا ابْنَ النَّجَّارِ؟ أَلَيْسَتْ أُمُّهُ تُدْعَى مَرْيَمَ، وَإِخْوَتُهُ يَعْقُوبَ وَيُوسِي وَسِمْعَانَ وَيَهُوذَا؟" (متى ١٣: ٥٥ و ٥٧:٢٧) انظر أيضا: (مرقس ٦:٣ و ١٥:٤٠) وهم أبناء خالة يسوع المسيح بالجسد والتي تُدعى مريم زوجة كلوبا (يوحنا ١٩:٢٥).

٢- **يهوذا الرسول:** وهو الذي يدعى لباؤس أو تداوس "قَالَ لَهُ يَهُوذَا لَيْسَ الإِسْخَرْيُوطِيَّ:«يَا سَيِّدُ، مَاذَا حَدَثَ حَتَّى إِنَّكَ مُزْمِعٌ أَنْ تُظْهِرَ ذَاتَكَ لَنَا وَلَيْسَ لِلْعَالَمِ؟»" (يوحنا ١٤:٢٢).

٣- **يهوذا الجليلي:** وهو أحد الثوار اليهود الذين ناهضوا الرومان، وقام بعدة ثورات ضدهم انتهت بقتله وسحق أتباعه "بَعْدَ هذَا قَامَ يَهُوذَا الْجَلِيلِيُّ فِي أَيَّامِ الاكْتِتَابِ، وَأَزَاغَ وَرَاءَهُ شَعْبًا غَفِيرًا. فَذَاكَ أَيْضًا هَلَكَ، وَجَمِيعُ الَّذِينَ انْقَادُوا إِلَيْهِ تَشَتَّتُوا." (أعمال ٥:٣٧) وكان ذلك في أيام الاكتتاب.

٤- **يهوذا الدمشقي:** وهو التلميذ الذي أرشد الرب شاول الطرسوسي إليه لكي يعلمه طريق الرب، فقد أرسل الله شاول إلى بيت يهوذا، بينما أمر حنانيا بالذهاب إلى بيت يهوذا ليلتقي شاول وهو يصلي هناك.. (أعمال ٩: ١١)

٥-**يهوذا الملقب برسابا:** وهو الذي أرسله الرسل مع سيلا برفقة القديس بولس إلى أنطاكية بعد حسم قضية التهود في مجمع اورشليم سنة ٥٠م. "حِينَئِذٍ رَأَى الرُّسُلُ وَالْمَشَايِخُ مَعَ كُلِّ الْكَنِيسَةِ أَنْ يَخْتَارُوا رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ، فَيُرْسِلُوهُمَا إِلَى أَنْطَاكِيَةَ مَعَ بُولُسَ وَبَرْنَابَا: يَهُوذَا الْمُلَقَّبَ بَرْسَابَا، وَسِيلاَ، رَجُلَيْنِ مُتَقَدِّمَيْنِ فِي الإِخْوَةِ." (أعمال ١٥:٢٢).

أما يهوذا الاسخريوطي فقد دعاه السيد المسيح ليكون له تلميذاً ضمن الاثني عشر (متى ١٠:٤)، ثم يقول الرب بعد ذلك بحزن "أَجَابَهُمْ يَسُوعُ:«أَلَيْسَ أَنِّي أَنَا اخْتَرْتُكُمْ، الاثْنَيْ عَشَرَ؟ وَوَاحِدٌ مِنْكُمْ شَيْطَانٌ!»" (يوحنا٦:٧٠). وبحسب كتاب "الاثني عشر رسولاً" (وهو كتاب أبوكريفي)، فقد قبل يهوذا الدعوة عند بحر طبرية. هذا ويتعجب الكثيرون لماذا اختاره السيد وهو يعلم أنه سوف يسلمه؟!، ولكن الرب يعطي الفرصة للكل، وهناك فرق بين سابق علم الله من جهة وحرية إرادة الانسان من جهة أخرى، وبينما يرى البعض أنه قد ساهم يهوذا في عملية الفداء بمعيار ما فإن ذلك لا يعفيه من المسئولية، فهو خائن ولم يفعل ذلك بقصد الاشتراك في الفداء أو المساهمة فيه.

كيف سلم يهوذا المسيح:

كان الرب يعلم أنه شيطان وأنه سارق والصندوق عنده، وقد اختاره الرب ليؤكد مبدأ تكافؤ الفرص للكل، وليس هناك سابق للتعيين من جهة اختيار يهوذا لهذا العمل وليقود ذلك إلى هلاكه... وقد حذره السيد المسيح أكثر من مرة "وَفِيمَا هُمْ مُتَّكِئُونَ يَأْكُلُونَ، قَالَ يَسُوعُ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ يُسَلِّمُنِي. اَلآكِلُ مَعِي!»" (مرقس١٤:١٨) كما أشار إلى أن تلاميذه أطهار باستثناء أحدهم وكان يقصد يهوذا "«... وَأَنْتُمْ طَاهِرُونَ وَلكِنْ لَيْسَ كُلُّكُمْ». لأَنَّهُ عَرَفَ مُسَلِّمَهُ، لِذلِكَ قَالَ: «لَسْتُمْ كُلُّكُمْ طَاهِرِينَ»." (يوحنا ١٣: ١٠، ١١). بل إنه نبهه مبكتًا إياه "فَبَعْدَ اللُّقْمَةِ دَخَلَهُ الشَّيْطَانُ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «مَا أَنْتَ تَعْمَلُهُ فَاعْمَلْهُ بِأَكْثَرِ سُرْعَةٍ»." (يوحنا ١٣: ٢٧)، وفي هذا كان يعلن السيد المسيح سلطانه على يهوذا ومجريات الأمور، وسلطانه في تحديد الساعة، حيث ورد أكثر من مرة في مواضع سابقة أن ساعته لم تكن قد جاءت بعد: "هذَا الْكَلاَمُ قَالَهُ يَسُوعُ فِي الْخِزَانَةِ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ. وَلَمْ يُمْسِكْهُ أَحَدٌ، لأَنَّ سَاعَتَهُ لَمْ تَكُنْ قَدْ جَاءَتْ بَعْدُ." (يوحنا ٨: ٢٠). راجع أيضا (يوحنا ٧: ٣٠ و٨: ٥٩ و١٠: ٣١، ٣٩). والسبب أن السيد سبق فحدد الموعد والطريقة التي يموت بها.

كان اليهود قد اتفقوا أن يرجئوا أمر القبض عليه إلى ما بعد الفصح لئلا يثور بعض الحجاج وبعض من مريديه تعاطفًا معه، ولكن يهوذا استطاع بعرضه أن يعدّل لهم الخطة، حيث سيهيئ لهم الوقت والمكان الذي يقبضون فيه عليه وبسهولة وقبل الفصح، فراقت لهم الخطة ووضعوها موضع

التنفيذ.. وجاء اتفاقهم معه كأسوأ وأحقر اتفاق تم في التاريخ البشري كله!!
"حِينَئِذٍ ذَهَبَ وَاحِدٌ مِنَ الاثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِي يُدْعَى يَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيَّ، إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَقَالَ:«مَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُعْطُونِي وَأَنَا أُسَلِّمُهُ إِلَيْكُمْ؟» فَجَعَلُوا لَهُ ثَلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ. وَمِنْ ذلِكَ الْوَقْتِ كَانَ يَطْلُبُ فُرْصَةً لِيُسَلِّمَهُ." (متى ٢٦:١٤-١٦) انظر أيضًا (مرقس ١٤:١٠،١١)

وسواء كانت هناك صلة قربى بين يهوذا ورئيس الكهنة استطاعوا استثمارها في الخطة أم لا، فقد ذهب يهوذا ليلاً إلى حنان حمي قيافا يعرض عليه ذلك فراقت الفكرة لرئيس الكهنة، ومن ثم اتجه قيافا إلى بيلاطس في يوم الخميس والذي كان فيه بيلاطس قد جلس للقضاء وحكم فيه لاثنين بالبراءة، بينما سجن واحد وأعدم آخر (نفّذ فيه الحكم قبل الليل) وتكلم قيافا مع بيلاطس بخصوص يسوع، فقد خانه أحد تلاميذه (أو تخلّى عنه) وحدد مكان وزمان تسليمه لهم وأن الأمر سيمر بهدوء.. فوافق بيلاطس مبدئيًا ومن هنا جاءت الاجراءات سريعة مخالفة في ذلك لـ "المشناه" والناموس بل والقانون الروماني نفسه..

طلب قيافا من بيلاطس أن يرسل معهم جنودًا للقبض على يسوع، ولكن بيلاطس نصحه بالاستعانة بجند الهيكل وإذا استدعى الأمر يمكن طلب جنود من قلعة أنطونيا، فقد كره بيلاطس أن يقبض على نبي مثلما فعل هيرودس مع يوحنا، وكان يهوذا يعرف أين يوجد المسيح "وَكَانَ يَهُوذَا مُسَلِّمُهُ يَعْرِفُ الْمَوْضِعَ، لأَنَّ يَسُوعَ اجْتَمَعَ هُنَاكَ كَثِيرًا مَعَ تَلاَمِيذِهِ."

(يوحنا ١٨: ٢). وعندما قاموا بالقبض على المسيح كان معهم، مثلما قال القديس بطرس أيضا "«أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ، كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَتِمَّ هذَا الْمَكْتُوبُ الَّذِي سَبَقَ الرُّوحُ الْقُدُسُ فَقَالَهُ بِفَمِ دَاوُدَ، عَنْ يَهُوذَا الَّذِي صَارَ دَلِيلاً لِلَّذِينَ قَبَضُوا عَلَى يَسُوعَ" (أعمال ١:١٦). وبينما كان السيد المسيح يتكلم معهم عن ضرورة الصلاة مع السهر لاح موكب يهوذا ومن معه عن بعد "وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ، إِذَا يَهُوذَا أَحَدُ الاثْنَيْ عَشَرَ قَدْ جَاءَ وَمَعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَشُيُوخِ الشَّعْبِ." (متى ٢٦:٤٧) راجع أيضا (مرقس١٤:٤٢) "قُومُوا لِنَذْهَبَ! هُوَذَا الَّذِي يُسَلِّمُنِي قَدِ اقْتَرَبَ!".

قبلة يهوذا:

وللأسف لقد اتفق يهوذا مع الذين جاءوا معه على العلامة التي يتعرّفون على الشخص المراد القبض عليه وهي القبلة، حتى لا يخطئوا الهدف، لا سيما والضوء خافت والملامح متقاربة مع بعض التلاميذ: "فَلِلْوَقْتِ تَقَدَّمَ إِلَى يَسُوعَ وَقَالَ: «السَّلاَمُ يَا سَيِّدِي!» وَقَبَّلَهُ" (متى٢٦:٤٩)، ولقد عاتبه السيد قائلاً: «يَا يَهُوذَا، أَبِقُبْلَةٍ تُسَلِّمُ ابْنَ الإِنْسَانِ؟» (لوقا٢٢:٤٨)، وكانت القبلة من التلميذ على يد معلمه أمرًا مقبولاً وشائعًا، وأحيانًا تكون على القدم، ولكنها هنا لا معنى لها.. بل أن مناداة يهوذا المسيح "ياسيدي" كانت إهانة متعمدة "فَلِلْوَقْتِ تَقَدَّمَ إِلَى يَسُوعَ وَقَالَ: «السَّلاَمُ يَا سَيِّدِي!» وَقَبَّلَهُ" (متى ٢٦:٤٩).

ولم يكن المسيح هاربًا، فقد أتى إلى ذلك المكان كثيرًا (راجع مقالة جثسيماني في هذا الكتاب)، بل كان يعلم الساعة "أَمَّا يَسُوعُ قَبْلَ عِيدِ الْفِصْحِ،

وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ سَاعَتَهُ قَدْ جَاءَتْ لِيَنْتَقِلَ مِنْ هذَا الْعَالَمِ إِلَى الآبِ، إِذْ كَانَ قَدْ أَحَبَّ خَاصَّتَهُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ، أَحَبَّهُمْ إِلَى الْمُنْتَهَى" (يوحنا ١٣:١).

ولكن لماذا خان؟:

هل لأنه وطني غيور ولذلك خاف على شعبه من المسيح؟ ولكن هل الغيور على وطنه يأخذ أجرًا على هذه الخدمة؟

أمّ أنه انضم إلى تلاميذ المسيح بغرض الخيانة؟ ولكن السيد المسيح هو الذي اختاره ودعاه "لَيْسَ أَنْتُمُ اخْتَرْتُمُونِي بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ، وَأَقَمْتُكُمْ لِتَذْهَبُوا وَتَأْتُوا بِثَمَرٍ، وَيَدُومَ ثَمَرُكُمْ .." (يو١٥:١٦).

بينما رأى البعض الآخر أن يهوذا بما فعله اشترك في اتمام الفداء، ولكن هذا أمر مردود عليه، ذلك لأنه ندم ومضى وشنق نفسه، أم أنه يأس عندما وجد المسيح قد مات وبالتالي لم يحقق الخلاص الذي ظن يهوذا أنه اشترك فيه ؟ (حسبما ظن البعض مدافعًا عنه)؟!

ويشير البعض الآخر أن يهوذا وهو التلميذ الوحيد الذي من اليهودية قد أنكر على المسيح أن يكون رئيسًا عليه وهو جليلي! وربما اعتقد أن يسوع هو نبي مزيف !!

ولكن بعض الآراء التي تستحق التفكير، تقول إن يهوذا كان يظن في المسيح أنه "الجليلي المسيا المنتظر"، غير أن أمله قد خاب عندما اكتشف

أن الحركة مهددة بانتقام وشيك من رؤساء الكهنة، بدلاً من أن يحكم المسيح إسرائيل وينال هو كرامة من ذلك مثل وزير في حكومة يسوع!. وربما فعل ذلك أيضا لينجو من عقاب محتمل لبقية التلاميذ، بعد التخلص من قائدهم.

ثمن الخيانة:

كانت الثلاثين من الفضة تساوي بحسب تقدير بعض الشراح مئة وعشرين دينارًا، وهو المبلغ الذي كان يُدفع للمالك بدل العبد الضائع "إِنْ نَطَحَ الثَّوْرُ عَبْدًا أَوْ أَمَةً، يُعْطِي سَيِّدَهُ ثَلاَثِينَ شَاقِلَ فِضَّةٍ، وَالثَّوْرُ يُرْجَمُ" (خروج٢١:٣٢). ولكنه ما أن عرف أن يسوع أُسلم للصلب حتى أتى إلى رؤساء الكهنة نادمًا وأسرع ليسجل اعتذاره وأسفه للقادة اليهود والذين استخفوا به وعاملوه بازدراء شديد، بعدما أمطروه أولاً بالمديح والوعود، وبعد أن أوهموه بأنه بطل وقديس ساهم في إنقاذ أمة بأسرها، وهاهم يظهرون خستهم وشر قلوبهم واعترفوا بأن الثمن الذي دفعوه هو ثمن دم برئ ولم يحتملوا حتى لمس تلك الفضة "حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى يَهُوذَا الَّذِي أَسْلَمَهُ أَنَّهُ قَدْ دِينَ، نَدِمَ وَرَدَّ الثَّلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخِ قَائِلاً:«قَدْ أَخْطَأْتُ إِذْ سَلَّمْتُ دَمًا بَرِيئًا». فَقَالُوا:«مَاذَا عَلَيْنَا؟ أَنْتَ أَبْصِرْ!» فَطَرَحَ الْفِضَّةَ فِي الْهَيْكَلِ وَانْصَرَفَ، ثُمَّ مَضَى وَخَنَقَ نَفْسَهُ. فَأَخَذَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ الْفِضَّةَ وَقَالُوا:«لاَ يَحِلُّ أَنْ نُلْقِيَهَا فِي الْخِزَانَةِ لأَنَّهَا ثَمَنُ دَمٍ». فَتَشَاوَرُوا وَاشْتَرَوْا بِهَا حَقْلَ الْفَخَّارِيِّ مَقْبَرَةً لِلْغُرَبَاءِ. لِهذَا سُمِّيَ ذلِكَ الْحَقْلُ «حَقْلَ الدَّمِ» إِلَى هذَا الْيَوْمِ. حِينَئِذٍ تَمَّ مَا قِيلَ بِإِرْمِيَا النَّبِيِّ الْقَائِلِ:«وَأَخَذُوا الثَّلاَثِينَ مِنَ

الْفِضَّةِ، ثَمَنَ الْمُثَمَّنِ الَّذِي ثَمَّنُوهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَعْطَوْهَا عَنْ حَقْلِ الْفَخَّارِيِّ، كَمَا أَمَرَنِي الرَّبُّ» (متى ٢٧: ٣-١٠).

الهواجس والندم يقتلان يهوذا:

فوجئ يهوذا بأنه قد قام بعمل شائن، وأنه خائن وأن السيد المسيح لم يسئ إليه بل عامله بلطف، وعند القبض عليه قال له بحب "يا صاحب".. وتغاضى عن سرقته للمال الذي اؤتمن عليه ".. لأَنَّهُ كَانَ سَارِقًا، وَكَانَ الصُّنْدُوقُ عِنْدَهُ، وَكَانَ يَحْمِلُ مَا يُلْقَى فِيهِ" (يوحنا ١٢:٦)، وهو أيضًا الذي عاين معجزات المسيح وسمع تعاليمه وتتلمذ عليه، كل ذلك تجمع أمام عينيه وقارن كل ذلك بما فعله هو مع سيده، وكان أمله الوحيد أن يغير رؤساء الكهنة من خطتهم ويعيدوا يسوع إلى البستان أو يطلقون سراحه أو أن يعتذروا له، ولكنهم صدموه باحتقارهم له "ماذا علينا.. انت أبصر!!" (أى ماذا يمكننا أن نصنع لك.. افعل ما تراه.. أنت حر..!!) وهنا خسر يهوذا كل شيء.. فألقى الفضة في الهيكل ومضى وخنق نفسه، ولم تكن خطيته أبشع من خطية بطرس الذي أنكر ولكن بطرس الرسول تاب باكيًا بينما يأس يهوذا وقتل نفسه، وتقول بعض التقاليد أن يهوذا علق نفسه في شجرة منتحرًا، وأما ماورد في سفر الأعمال عن أنه سقط على وجهه وانشق من الوسط وانسكبت احشاؤه كلها، فالأرجح أنه بعدما علق نفسه في الشجرة سقط على الأرض وُفقئت بطنه "فَإِنَّ هذَا اقْتَنَى حَقْلاً مِنْ أُجْرَةِ الظُّلْمِ، وَإِذْ سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ انْشَقَّ مِنَ الْوَسْطِ، فَانْسَكَبَتْ أَحْشَاؤُهُ كُلُّهَا.".(أعمال ١:١٨)

والمزمور (٦٩:٢٥) بحسب الفولجاتا يربط بين المشهدين فيقول "شنق نفسة انسكبت احشاؤة"

وقد ذكر الكاتب الإنجليزي د. فردريك فارار في كتابه «حياة المسيح» أنه عند زيارته للأراضي المقدسة في ١٨٧٠م، رأى "شجرة جرداء كئيبة خرّبها الريح ويدعونها شجرة يهوذا".[١]

حقل الدم..

النبوة الواردة في سفر زكريا عن حقل الدم أو حقل الفخاري، والمنسوبة إلى إرميا النبي (بسبب وجود مجموعة نبوات في كتاب أشهرها إرميا فنسب الاقتباس إليه): "فَأَخَذَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ الْفِضَّةَ وَقَالُوا:«لاَ يَحِلُّ أَنْ نُلْقِيَهَا فِي الْخِزَانَةِ لأَنَّهَا ثَمَنُ دَمٍ». فَتَشَاوَرُوا وَاشْتَرَوْا بِهَا حَقْلَ الْفَخَّارِيِّ مَقْبَرَةً لِلْغُرَبَاءِ. لِهذَا سُمِّيَ ذلِكَ الْحَقْلُ «حَقْلَ الدَّمِ» إِلَى هذَا الْيَوْمِ. حِينَئِذٍ تَمَّ مَا قِيلَ بِإِرْمِيَا النَّبِيِّ الْقَائِلِ:«وَأَخَذُوا الثَّلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ، ثَمَنَ الْمُثَمَّنِ الَّذِي ثَمَّنُوهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَعْطَوْهَا عَنْ حَقْلِ الْفَخَّارِيِّ، كَمَا أَمَرَنِي الرَّبُّ» (متى ٢٧: ٣-١٠) وقد نُسبت إلى إرميا النبي، لأن اليهود كانوا يسمون مجموعة اسفار الأنبياء باسم سفر أو نبي شهير فدعيت مجموعة الأنبياء هذه أحيانا إرميا، مثلما دعيت الكتابات الشعرية والحكميه بالمزامير أو داود، أمّا النبوة كما وردت في سفر زكريا فهي: "فَقَالَ لِي الرَّبُّ: «أَلْقِهَا إِلَى الْفَخَّارِيِّ، الثَّمَنَ

---

[١] فردريك فارار، حياة المسيح، تعريب د. جورجي عقداوي، ١٩٤٩. أعاد نشره أحد رهبان الإسقيط في ٢٠٠٥.

الْكَرِيمَ الَّذِي ثَمَّنُونِي بِهِ». فَأَخَذْتُ الثَّلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ وَأَلْقَيْتُهَا إِلَى الْفَخَّارِيِّ فِي بَيْتِ الرَّبِّ." (زكريا ١١:١٣) وهكذا اشترى بها القائمون على الهيكل مقبرة للغرباء. وفي سفر أعمال الرسل يتضح أن الأمر قد صار معروفًا عند جميع سكان أورشليم حتى دعى ذلك الحقل في لغتهم -يقصد الأرامية- "حقل دما" أى "حقل دم" في العبرية.

دورة يهوذا في طقس خميس العهد:

في بعض تقاليد ريف مصر، يصنع بعض الصبية "دمية من القش" ليهوذا ثم يدورون بها في القرية مبكتين إياه على خيانته، وفي نهاية المطاف يتخلصون منها باشعال النار فيها، وفي تقليد آخر كانوا يختارون شخصًا يغطون وجهه ويدورون به في الاتجاه المعاكس متذكرين خيانة يهوذا!!. ويسيرون إلى الخلف وبعضهم يحمل الناقوس مقلوبًا أيضًا.._أما في الطقس القبطي وهو قديم جدًا فقد اعتادت الكنيسة أن تطوف البيعه في الاتجاه المخالف لدوراتها، ففي هذه المرة يدورون مع عقارب الساعة، في حين يدورون عادة ضد اتجاه عقارب الساعة، ويرى بعض المتأملين أن الشعب يدور في الكنيسة ضد الزمن العادي أى في اتجاه الأبدية بعكس يهوذا الذي خسر أبديته.. وهي دورة تبكيتيه ليس الغرض منها تبكيت يهوذا وإدانته قدر أن يكون في ذلك تعليم للشعب ألا يسلك كما سلك هو، وأن كل من يصنع مثل ذلك هو في عداد المخالفين، ولذلك فإن مردّ اللحن الذي يقال في الدورة "لحن يوداس" هو: "**يهوذا مخالف الناموس**"، وهو لحن رثائي تميل نغمته إلى البكاء.. ويروي قصته خيانة يهوذا

وتعاونه مع اليهود ضد السيد، ولكن السيد المسيح ينتصر على الألام ويقوم من القبر، كما يقارن اللحن بدموع بين باراباس اللص والمسيح البار "باراباس اللص المدان أطلقوه والسيد الديان صلبوه".

أما من جهة طقس قبلة يهوذا، فقد رتيت الكنيسة ألا تكون هناك قبلة داخل الكنيسة، وهو طقس يُمارس داخل الكنيسة فقط، وإن كان الاقباط قد مارسوه لزمن طويل خارج الكنيسة في المنزل والعمل حين كانوا أغلبية مسيحية، ولكنه الآن في داخل الكنيسة كوسيلة إيضاح وتذكرة ومحاولة للحياة داخل الحدث نفسه، حيث يستمر ذلك من ليلة الاربعاء وهو اليوم الذي تآمر فيه يهوذا مع اليهود على المسيح، وحتى ليلة عيد القيامة، حيث انتصر المسيح على الموت.

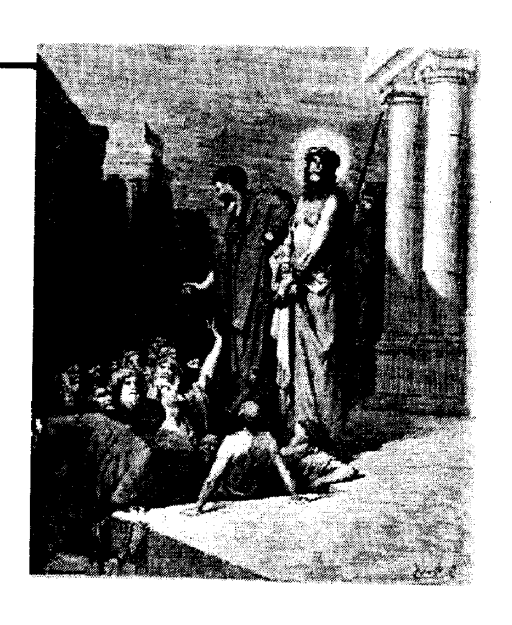
يعلّق البعض ويقول هاهوذا السيد المسيح قد قام وانتصر على الخيانة والخونة، وهذا حق، ولكن الأحرى بالتأمل والتعجب أن الرب جاء في الأساس ليخلص الجميع بمن فيهم يهوذا نفسه، فإذا بالأخير يخونه فيفقد خلاصه ويقتني له عقوبة وهلاكًا أبديًا.

اللهُ بحُبٍّ وأُبوَّة يبحثُ عن خاطي بأعجوبةْ
عن خائنٍ، أضحتْ أفكارُهُ وهمًا وحياتُه أُكذوبةْ
يعطيهِ المالَ وصندوقًا كان عنهُ أمينًا مسئولا
يمنحُهُ الشرفَ ليتتلمذَ معهُ، بل ويكونَ رسولا
ولقاء ثلاثينَ الفضةْ الخائنُ ينسى هذا وذاكْ
ويسلِّمُ سيِّدَهُ للموتِ ليجنيَ لقب «ابنَ الهلاكْ»[٢]



---

[٢] من قصيدة البحث عن الخونة – تأليف د/ مينا فايز، كنيسة السيدة العذراء بالفجالة.



(٧) دار الــولايـــــــة

(٧)

دار الولاية

بلاط الحاكم (بريتوريون)

(متى ٢٧:٢٧، مرقس ١٥:١٦، يوحنا ٢٨:١٧، ٣٣ و١٩:١٩ وأعمال ٢٣:٣٥)

حوكم السيد المسيح ليس أقل من ست محاكمات ما بين دينية وسياسية، وذلك في أورشليم وأمام هيرودس، فقد حوكم أمام حنان محاكمة أشبه بالاستجواب، وأمام قيافا صهره على سبيل أخذ الأقوال، وأمام مجلس السنهدريم كمحاكمة قضائية، وكان السنهدريم قد عقد جلسة لمناقشة "أمر يسوع الناصري" غيابيًا، وهي المذكورة في (يوحنا٧: ٥١) والتي دافع فيها نيقوديموس باستحياء عن المسيح...

ولما انتهوا من المحاكمات الدينية رفعوا الأمر إلى السلطات الرومانية، ليس احتراماً منهم للقضاء الروماني وانما لعدم استطاعتهم تنفيذ الاحكام التي يصدرها سنهدريمهم، وعندما قال لهم بيلاطس "فَقَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ:«خُذُوهُ أَنْتُمْ وَاحْكُمُوا عَلَيْهِ حَسَبَ نَامُوسِكُمْ». فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ:«لاَ يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَقْتُلَ أَحَدًا»." (يوحنا ١٨:٣١)، ولم يقل اليهود هذا تعففاً منهم عن القتل، وأنما لأن الرومان كانوا قد نزعوا منهم حق تنفيذ أحكام الاعدام من عشرات السنين (منذ سنة ٤٠ ق. م). وعندما فشل اليهود في استخدام

الدين لحض بيلاطس على قتله، لجأوا إلى السياسة فهددوه بالشكوى إلى القيصر. وبالرغم من أن اليهود قد أعدوا ملفًا جاهزًا للمتهم قدموه إلى بيلاطس ليصادق على حكم الموت، إلاّ أن بيلاطس والذي بدا رافضًا لمشورتهم، قرر نظر القضية برمتها من البداية، الأمر الذي أغاظهم كثيرًا.

دار الولاية:

قام اليهود باكرًا بأخذ يسوع مقيدًا إلى دار الولاية، حيث يجلس بيلاطس للنظر في بعض القضايا المؤجلة ليفصل فيها، خلال الأسبوع الذي يقضيه في أورشليم بمناسبة الفصح وبعيدًا عن مقر اقامته في قيصرية.. وهو مقر إقامة الولاة الأربعة السابقين بعد أرشلاوس (خليفة هيرودس ورئيس الربع الذي هو اليهودية). وكان كل منهم يأتي في مناسبات قليلة، يُحتمل أن يحدث فيها شغب بسبب الزحام واختلاف الطوائف والعرقيات، لا سيما في أعياد الفصح والمظال..

كان الحاكم يقيم في أحد القصرين اللذين بناهما –ببذخ لا يوصف– هيرودس الكبير، ويقعان في جنوب غرب التل الذي يقع الهيكل فوقه: "تل الموريا". وقد ذكرهما يوسيفوس في تاريخه بفخر شديد، ذاكرًا أنهما عبارة عن جناحين عظيمين من الرخام الأبيض، أُطلق عليهما لقبا "القيصرين والأغريبين" وذلك نسبة إلى أغريباس والقيصر، كنوع من التملق.

وبين الجناحين فناء واسع شاسع يشرف على منظر عام مبهج لأورشليم، وقد زُيّن هذا الفناء بأقبية منحوته وأعمدة ذات ألوان رائعة،

وكانت أرضية الفناء مكسوة بفسيفساء ثمينة، مـزودة بنـافورات وحـدائق تجتذب أسراب اليمام، وأُحيط كل ذلك بأسوار وأبراج عالية، أما من الداخل فقد كانت الحجرات واسعة تسع الواحدة مئة ضيف، مزينة بأثاث وفراش من الذهب والفضة.

وبهذا كان الموضع مقرًا رائعًا لوالٍ روماني من رتبـة الفرسـان، ومع ذلك لم يكن المكان محبوبًا للرومان بسبب غطرسـة اليهـود، وكـأن المكان مقام على فوهة بركان، غير أن الوالي كان مضطرًا، حيث كانت دار الولاية هي أحد هذين القصرين، أمّا السيد المسيح فلم تطـأ قـدماه هـذين القصرين خلال مدة خدمته.

هكذا يطلق تعبير "دار الولاية" ببساطة على المكان الذي يقيم فيـه القائد الروماني، وفيه يجتمع فيه "مجلس الحرب" وكرسي القضـاء، وفـي الخارج الحرس الخاص بالوالي، مثلما نقرأ عن شئ مشابه في سفر يهوديت عند الحديث عن"خيمة أليفانا" رئيس جيش الأشورين.

أدخل جند الرومان يسوع إلى الداخل ليراه بـيلاطس عـن كثـب وليتفحصه بنفسه، وكان بيلاطس قد سمع الكثير عن يسوع ولكنه لم يره قط من قبل، أمّا اليهود فلم يدخلوا دار الولاية باعتبار المكان نجسًا بالنسبة لهم، لأن الوالي يقيم فيه (بالرغم من أنه مبنى يهودي!!) ولـذلك خـرج إلـيهم بيلاطس، ولكن أين التقى بهم؟ لقد التقى بهم في المكان المُسمّى جباثا.

جباثا:

لفظة أرامية تعني مصطبة، وتسمى أيضا **البلاط**، ذكره القديس يوحنا (١٣:١٩)، وهو مكان مرتفع ومكشوف، إلى هذا المكان خرج بيلاطس إلى اليهود المتربصين بالمسيح يحرضهم رؤساء اليهود، والذين وقفوا أمامه هناك في تحد، فنظر إليهم نظرة غاضبة قائلاً: «أَيَّةَ شِكَايَةٍ تُقَدِّمُونَ عَلَى هذَا الإِنْسَانِ؟» (يوحنا ١٨:٢٩).

ومن "جباثا" أقام بيلاطس منبرًا لمحاكمة السيد المسيح أمام الشعب، وتنقّل مرارًا ما بين الداخل حيث يوجد يسوع يستجوبه، والخارج حيث يوجد الشعب المسكين الذي يحركه ويحرضه الرؤساء، الذين أظلمت قلوبهم وأُغلقت أعينهم عن الحق، يحاول ويواصل التفاهم معهم أملاً في أن يخلص يسوع من بين أيديهم بأقل ثمن يدفعه هو!!. لذلك نجد في الصور والأفلام السيد المسيح واقفًا أمام أحد الابواب، هو باب دار الولاية، أمام منصة الحكم التي اختارها بيلاطس والتي هي جباثا المذكورة هنا (أو البلاط). وقد اكتشف العلماء هذا المكان حيث اتضح أن مساحته حوالي ٢٦٠م٢، ووُجد تحت دير وكنيسة "سيدة صهيون".

في هذا المكان اجتمعت الأطراف كلها، الخالق وخليقته، القاضي في موضع الاتهام بينما العصاة المجرمون الحقيقيون يقيمون من أنفسهم قضاة له!. بيلاطس جالس في ثياب ملكه متألهًا، بينما الإله الحقيقي الذي "لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً ِللهِ" (فيليبي ٢:٧) واقفًا منهوك القوى، رثّ

الثياب، مثيرًا للشفقة!. اليهود الذين جاء ليخلصهم يعجلون بالمهمـــة دون أن يدروا!، ولكنهم رفضوا، لأنه "إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ." (يوحنـــا ١: ١١)، فحكموا على أنفسهم بالرفض، بل لقد كان بيلاطس أقل شرًا منهم، لذلك قال السيد المسيح لبيلاطس "لِذلِكَ الَّذِي أَسْلَمَنِي إِلَيْكَ لَهُ خَطِيَّةٌ أَعْظَـــمُ" (يوحنا ١٩:١١). وكان بتدبير من الله أن يشترك اليهود مع الرومـــان فـــي الحكم على السيد المسيح، فقد اشتركوا معًا في الذبيحة، كمـــا أن اشـــتراك الرومان في موت المسيح، جعل الموت موت الصليب بحســـب تـــدبير الله السابق..





(٨) بيــلاطــس البُنــطـــي

(٨)

بيلاطس البنطي

هو الوالي الذي حوكم أمامه السيد المسيح، والاسم "**بيلاطس**" معناه: "المتسلح برمح"، كما أُطلقت اللفظة على "القلنسوة المصنوعة من الجلد" والتي رمزت إلى العبيد المعتوقين، كما تأتي اللفظة أيضًا بمعنى "أصلع" أو "فظ خشن" أمّا "**بنطي**" فهي نسبة إلى **عشيرة البنطيين** التى كانت معروفة في شمال ووسط إيطاليا في جميع الطبقات الاجتماعية، وقد شغل رجالها مراكز مرموقة، كما كان لهم تمثيل في مجلس الشيوخ، ينتمون الى عائلة السامنيين على جبال ابينين.

وُلد بيلاطس وهو الوالي الخامس على اليهودية سنة ١٠ ق.م. في روما، والبعض يقول في سيفيل (أشبيلية)، وقد عمل ضمن الحرس الامبراطوري، خدم في ألمانيا، وقضى فترة في روما بعد انتهاء مدته، وكان عليه إمّا أن يترك السياسة فيتحول الى الأعمال الحرة أو يواصل في الخدمة العسكرية ليترقى حيث يصبح وزيرًا أو مسئول مقاطعة.

أمّا عن شخصيته: فقد ورد عنه أنه جاد الملامح مربّع الوجه، شعره مجعّد رمادي داكن. وحين توجّه إلى اليهودية كان في سن الخامسة والثلاثين، وكانت هيئته رومانية مثالية، وكان سجله العسكري مشرفًا، عمل في ادارة عسكرية مع الفيلق الثاني عشر وقام بإخماد ثورة كبيرة – من

خلال الخطابة والقوة معاً. امتدحه سيجانوس المسئول الروماني الكبير آنئذ وأسهم ذلك في شهرته.

كيف تَعيَن واليًا على اليهودية:

كان فاليروس جانوس، الذي تولى حكم اليهودية لمدة إحدى عشرة سنة، قد ملّ من اليهودية، ووافق الامبراطور طيباريوس قيصر على استبداله، واقترح سيجانوس اسم بيلاطس، فوافق، ووصل راتبه السنوي مائة الف سسترس (عشرين ألف دولار) مع الوعد بالزيادة متى نجح في مهمته، وكان بيلاطس يعرف جيدًا أنه لا راحة بين روما واليهود، منذ أن غزاها بومباي قبل تسعين عاماً قام اليهود خلالها باثنتين وعشرين ثورة قُتل فيها الكثيرون، ووتوجّب عليه أن يأخذ معه خمسة كتائب (في حين كان مع جاليروس في مصر وهي لا تقل أهمية فيلقين وذلك بسبب خطورة وضع مصر) وعندما طلب بيلاطس فيلقًا رفض الامبراطور، هذا وقد قام "اينوس روفوس" والذي حكم اليهودية من سنة ١٢الى١٥م. بمساعدة بيلاطس في تكوين فكرة عن اليهودية. كان أغسطس قيصر قد قام في سنة ٢١ ق.م. بتقسيم المقاطعات التابعة له إلى مجموعتين (الأولى أُطلق عليها "مشيخية" وهي المقاطعات الهادئة، مثل صقلية واليونان، والثانية "مقاطعات إمبراطورية" وهي التابعة للقيصر شخصيًا، يرسل لها واحدًا من رتبة الفرسان) هذا وقد فرح بيلاطس بالتعيين، وأوصاه سيجانوس بالضغط على اليهود لأن حزب "أغريبينا" المنافس لحزبه يتعاطف مع اليهود في روما.

أهمية اليهود بالنسبة لروما:

تعتبر أورشليم هي العاصمة الدينية لـستة ملايين يهودي في العالم (يمثلون في ذلك الوقت سُبع سكان الامبراطورية) كما أنها تسيطر على الخط التجاري والاتصالات بين أفريقيا وآسيا نظرًا لموقعها المتميّز، كذلك فقد كانت مقاطعة غير مستقرة، تكثر فيها الثورات والشغب، وكان على بيلاطس التحلّي بالحكمة والتفاهم، وجمع الضرائب والتي بلغت في ذلك الوقت "مليوني سسترس". وقد صادق طيباريوس قيصر على تعيين بيلاطس في منتصف عام ٢٦م (في السنة الثانية عشرة من ملكه).

تزوج بيلاطس من "**كلوديا بروكولا**" وترجع اللفظة الى اسم روماني شائع من عشيرة "البروكليين" كان والدها صديق طيباريوس وربما قريبه، ويظن البعض انها ابنه غير شرعية للزوجة الثالثة لطيباريوس، عاشت في قصرها حياة باذخة، ومع ذلك فقد كانت متدينة تؤمن بالآلهة والأرواح، تعاطفت مع يسوع لما سمعته عنه من صديقاتها اليهوديات وتمنت لو تخلى بيلاطس عن محاكمة يسوع المسيح.

بيلاطس في اليهودية:

عندما كان بيلاطس في الميناء يستعد للإقلاع الى قيصرية ارسل له الإمبراطور خاتمًا عليه نقشه وأرسل اليه سيجانوس حلة عسكرية كهدية. استقل بيلاطس سفينة تُدعى "تردنت" ومعها سبع سفن أخرى إلى الاسكندرية، هناك استضافه حاكمها جاليروس أسبوعاً.

وكان أغسطس قيصر قد نفى أرشيلاوس (أو أرخيلاوس بن هيرودس الكبير) بعد فشله، وعين بدلاً منه "كوبونيوس" سنة ١١م. واستمر أربع سنوات، ومن بعده "أميفيوس" واستمر ثلاث سنوات، ومن بعده "إينوس روفوس" الذي حكم لمدة عام واحد، فلما مات أغسطس وملك طيباريوس من بعده عين "فاليروس" سنة ١٥م. فاستمر لمدة إحدى عشرة سنة. كان الجيش الذي يتبع بيلاطس في البداية صغيرًا، وأقام هو في قيصرية، وكان نطاق ملكه: السامرة، وأورشليم حتى غزة والبحر الميت جنوبًا، وكانت له سلطات واسعة.. على الرغم من ذلك فقد كان تحت رئاسة "فتليوس" حاكم سوريا والحاكم العسكري العام في الشرق.

سياسته :

رغم وصف بعض المؤرخين له وصفًا سلبيًا، فإن الكتابات المتأخره تتعاطف معه وترى في استمراره أحد عشر عامًا دليل نجاح، وقد أدار الكثير من الأزمات بحكمة، والعجيب أن السامريين هم الذين تسببوا في اقصائه عن الحكم وليس اليهود!

مشكلة الألوية:

استبدل بيلاطس فرقة الجيش في أورشليم بتلك التي في قيصرية، والفرق أن فرقة اورشليم كانت "فرقة سبسطية" أمّا الأخرى فكانت "فرقة أُغسطسية" وهذه مُنحت شرف هذه التسمية "الأغسطسية" لإخمادها ثورة اليهود الغيورين (الطائفة المسماة زيلوت) قبل مجئ بيلاطس، وهذه الفرقة

الآتية من قيصرية كان بحوزتهم أيقونات ورايات القيصر وهو ما اعتبره اليهود علامات وثنية.

في الصباح لاحظ اليهود من خلال شرفات القلعة التي سكنتها الفرقة وجود الرايات والأيقونات فثاروا لأنها أوثان وضد الشريعة واعتبروا وجودها تحدٍّ لمشاعر الشعب، ونُصح بيلاطس بتجاهلهم ولكنهم تجمهروا بأعداد كبيرة ولمدة سبعة أيام، وأرسل لهم ردًا عن طريق قيافا يقول إن الرايات تخص روما وليست لليهود ولا داعي لاستنتاجات دينية منها وهم غير مطالبين بعبادتها كما أن إزالتها تُعتبر عقاب جماعي للفرقة كلها وإهانة للقيصر نفسه. طلب الاجتماع بهم في الاستاد وهناك هددهم بالقتل فرحبوا بذلك وهنا اضطر إلى إرجاع الفرقة إلى مكانها، فرجعوا فرحين ينشدون أناشيد النصر.

مشروع المياه:

وهو المشروع الذي أراد أن يموله من خزينة الهيكل، ولكن اليهود واروا ثورتهم الثالثة والعشرين ضد روما واستطاع بيلاطس بحيلة ان يستولي على الأموال الآتية من بابل كتقدمات للهيكل، وهنا ثار الحجاج الجليليون عندما جاءوا في الفصح وعلموا بما حدث، فأعمل الجنود الرومانيون السيوف فيهم، وهذا هو المقصود بأن بيلاطس خلط دماء الجليليين بذبائحهم (لوقا ١٣: ١).

وكان أغسطس قيصر قد نفى أرشيلاوس (أو أرخيلاوس بن هيرودس الكبير) بعد فشله، وعين بدلاً منه "كوبونيوس" سنة ١١م. واستمر أربع سنوات، ومن بعده "أميفيوس" واستمر ثلاث سنوات، ومن بعده "إينوس روفوس" الذي حكم لمدة عام واحد، فلما مات أغسطس وملك طيباريوس من بعده عين "فاليروس" سنة ١٥م. فاستمر لمدة إحدى عشرة سنة. كان الجيش الذي يتبع بيلاطس في البداية صغيرًا، وأقام هو في قيصرية، وكان نطاق ملكه: السامرة، وأورشليم حتى غزة والبحر الميت جنوبًا، وكانت له سلطات واسعة.. على الرغم من ذلك فقد كان تحت رئاسة "فتليوس" حاكم سوريا والحاكم العسكري العام في الشرق.

سياسته :

رغم وصف بعض المؤرخين له وصفًا سلبيًا، فإن الكتابات المتأخره تتعاطف معه وترى في استمراره أحد عشر عامًا دليل نجاح، وقد أدار الكثير من الأزمات بحكمة، والعجيب أن السامريين هم الذين تسببوا في اقصائه عن الحكم وليس اليهود!

مشكلة الألوية:

استبدل بيلاطس فرقة الجيش في أورشليم بتلك التي في قيصرية، والفرق أن فرقة اورشليم كانت "فرقة سبسطية" أمّا الأخرى فكانت "فرقة أُغسطسية" وهذه مُنحت شرف هذه التسمية "الأغسطسية" لإخمادها ثورة اليهود الغيورين (الطائفة المسماة زيلوت) قبل مجئ بيلاطس، وهذه الفرقة

الآتية من قيصرية كان بحوزتهم أيقونات ورايات القيصر وهو ما اعتبره اليهود علامات وثنية.

في الصباح لاحظ اليهود من خلال شرفات القلعة التي سكنتها الفرقة وجود الرايات والأيقونات فثاروا لأنها أوثان وضد الشريعة واعتبروا وجودها تحدٍّ لمشاعر الشعب، ونُصح بيلاطس بتجاهلهم ولكنهم تجمهروا بأعداد كبيرة ولمدة سبعة أيام، وأرسل لهم ردًا عن طريق قيافا يقول إن الرايات تخص روما وليست لليهود ولا داعي لاستنتاجات دينية منها وهم غير مطالبين بعبادتها كما أن إزالتها تُعتبر عقاب جماعي للفرقة كلها وإهانة للقيصر نفسه. طلب الاجتماع بهم في الاستاد وهناك هددهم بالقتل فرحبوا بذلك وهنا اضطر إلى إرجاع الفرقة إلى مكانها، فرجعوا فرحين ينشدون أناشيد النصر.

مشروع المياه:

وهو المشروع الذي أراد أن يموله من خزينة الهيكل، ولكن اليهود واروا ثورتهم الثالثة والعشرين ضد روما واستطاع بيلاطس بحيلة ان يستولي على الأموال الآتية من بابل كتقدمات للهيكل، وهنا ثار الحجاج الجليليون عندما جاءوا في الفصح وعلموا بما حدث، فأعمل الجنود الرومانيون السيوف فيهم، وهذا هو المقصود بأن بيلاطس خلط دماء الجليليين بذبائحهم (لوقا ١٣: ١).

بيلاطس والمسيح:

اعتبر بيلاطس المسيح فيلسوفًا يحث على الفضيلة ولم يُبلغ عن أي شغب بخصوصه، والرومان بشكل عام لم يضطهدوا المسيحيين (على الأقل في البداية) إلا بسبب شكاية اليهود ضدهم، أما الأسباب التي عرضوها أمام بيلاطس لمحاكمته، فقد كانت كسر السبت ومحبته للعشارين وتحامله على الرؤساء، فلما رأوا أنها أسباب لا تحرك الوالي ضده عادوا فـ "سيّسوا" القضية مقحمين فيها روما قائلين إنه يجعل من نفسه ملكًا!، ولما خشوا أن يقبضوا عليه في العيد لئلا يتعاطف الحجاج معه فقد قرروا إرجاء ذلك إلى ما بعد الفصح، وبسبب ما حدث في ثورة سنة ٣ ق.م ومقتل ثلاثة آلاف حاج، بدأ الحكام في ترك مقارهم في قيصرية في موسم الفصح والمجئ الى اورشليم.

في الثاني والعشرين من فبراير أصدر السنهدريم أمرًا بالقبض على يسوع، يقول الأمر: "مطلوب القبض عليه، سيُرجم لأنه مارس السحر، وأغوى اسرائيل، أي شخص يعرف عنه شيئًا يبلّغ، أي شخص يود الدفاع عنه فليتقدم" إلى ذلك أشار القديس يوحنا "وَكَانَ أَيْضًا رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ قَدْ أَصْدَرُوا أَمْرًا أَنَّهُ إِنْ عَرَفَ أَحَدٌ أَيْنَ هُوَ فَلْيَدُلَّ عَلَيْهِ، لِكَيْ يُمْسِكُوهُ." (يوحنا ١١:٥٧) ولكن يهوذا عجّل بالقبض عليه قبل العيد ودون قلق، وهذا هو السبب في سرعة الاجراءات والتي تخطت الكثير من قوانين المشناه.

ومنذ إقامة لعازر وتساؤل الجموع في موضع آخر: "«أَلَعَلَّ الْمَسِيحَ مَتَى جَاءَ يَعْمَلُ آيَاتٍ أَكْثَرَ مِنْ هذِهِ الَّتِي عَمِلَهَا هذَا؟»." (يوحنا ٧: ٣١)، بل لقد حاول عشرون ألف منهم قبل ذلك المناداة به ملكاً بعد معجزة إشباع الجموع. العجيب أن الصدوقيين وضعوا أيديهم في أيدي الفريسيين بعد إقامة لعازر لأنها تناقض عقيدتهم بخصوص قيامة الموتى!!.

انعقد السنهدريم سريعًا لنظر القضية؛ قائمة الاتهامات هي: نبي مزيف- ساحر- تعليم بدين جديد- يناقض شريعة موسى- يقوّض الأصول الدينية القومية- يدّعى أنه المسيا المنتظر- ادّعى أنه ابن الله. ومجمل التهم أنه **(مجدف)**. وقد حسم رئيس الكهنة الأمر بسؤاله: "«أَسْتَحْلِفُكَ بِاللهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ؟» قَالَ لَهُ يَسُوعُ:«أَنْتَ قُلْتَ!»" (متى ٢٦: ٦٣ و٦٤). فشق ذاك ثيابه. وفي الصباح جرت محاكمة أخرى بعد انضمام أعضاء جدد وبعدها أوثقوه ليسلم الى بيلاطس.

أمام بيلاطس:

كان بيلاطس قد كلّف السنهدريم بجمع أخبار يسوع، وفي المحاكمة الأولى لم يجد ما يستحق عليه الموت، بل مجرد خلاف حول تفسير الناموس، وقد ادّعى اليهود أنه مناهض لروما وللقيصر، ولكن إذا كان الأمر كذلك كما يقولون ألا يكون هو الشخص الذي يريده اليهود!! فلما هذا التناقض؟ أمّا بخصوص اتهامه بالخيانة، كان قد صدر قانون الخيانة في روما سنة ٤٦ ق.م. حيث يقضي بإعدام كل مناهض للدولة أو القيصر

(وكانت اليهودية قد أصبحت ولاية رومانية منذ ٦ ق.م) وأمّا بخصوص الجزية فقد خضعت اليهودية لها منذ سنة ٦٣ ق.م. ولما رفضوا دفعها قامت حرب ٧٠م.

عندما جلس بيلاطس ليحاكم بالمسيح فوجئ بشاب نبيل، وسيم، مهيب الطلعة، فخاف منه! كان ذلك في الصباح بعدما أوثقوه وأرسلوه إليه، فسأله: «أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟» وأجابه السيد: " أَمِنْ ذَاتِكَ تَقُولُ هذَا... أم أن الأمر منتهي" (يوحنا ١٨: ٣٣ و٣٤) واتجه الى اليهود يسألهم: " أَيَّةَ شِكَايَةٍ تُقَدِّمُونَ عَلَى هذَا الإِنْسَانِ؟" وبدا لهم من السؤال أنه قد قرر نظر القضية برمتها!! حيث لم يكن الاتفاق بينهم هكذا ليلاً بل أن يصادق بهدوء على الحكم بموته فحسب، وتضايقوا وقالوا: «لَوْ لَمْ يَكُنْ فَاعِلَ شَرّ لَمَا كُنَّا قَدْ سَلَّمْنَاهُ إِلَيْكَ!» (يوحنا ١٨: ٢٩ و٣٠)، وقالوا ذلك مستنكرين من جهة، ولكي يطمئنوه من جهة أخرى، ولم يجد بيلاطس ما يستحق عليه الموت فحفظه عنده في دار الولاية (خوفًا عليه)، ولكن خطية بيلاطس أنه لم يُقم العدل (يقول القانون في روما: أقم العدل ولو انطبقت السماء على الأرض)، واقتحمت بروكولا سير القضية وأرسلت إليه قائلة: «إِيَّاكَ وَذلِكَ الْبَارَّ، لأَنِّي تَأَلَّمْتُ الْيَوْمَ كَثِيرًا فِي حُلْمٍ مِنْ أَجْلِهِ». وقد تسبب ذلك في جعل بيلاطس يتأنى في نظر القضية أكثر، بينما رأى اليهود في ذلك تلكأً منه، وفي النهاية صرّح بيلاطس: «إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هذَا الْبَارِّ!» (متى ٢٧:٢٤)، ومن ثمّ قام بغسل يديه. عند ذلك أطلق اليهود السهم الأخير في جعبتهم وهددوه قائلين: «إِنْ أَطْلَقْتَ هذَا فَلَسْتَ مُحِبًّا لِقَيْصَرَ. كُلُّ مَنْ يَجْعَلُ نَفْسَهُ مَلِكًا يُقَاوِمُ قَيْصَرَ!»

(يوحنا ١٩: ١٢). وكانت عقوبة تلك الخيانة وتسمّى: *Crimen Caesaris* هي الإعدام، وعلى العكس منها "محب للقيصر" *Amicus Caesaris* وتعني قدّم أعمالاً جليلة للقيصر والدولة، هي المكافأة الكبيرة، هنا فقد غير بيلاطس موقفه وتغير بالتالي سير القضية.

موقف المسيح من بيلاطس:

احترم السيد المسيح بيلاطس كموظف في الدولة وتركه يعمل عمله، ولكنه صحّح له مفهوم السلطان وملكوته الابدي، فعندما قال بيلاطس له "«... أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ لِي سُلْطَانًا أَنْ أَصْلِبَكَ وَسُلْطَانًا أَنْ أُطْلِقَكَ؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «لَمْ يَكُنْ لَكَ عَلَيَّ سُلْطَانٌ الْبَتَّةَ، لَوْ لَمْ تَكُنْ قَدْ أُعْطِيتَ مِنْ فَوْقُ.»" (يوحنا ١٩: ١٠ و١١).

محاولات إطلاق سراحه:

"مِنْ هذَا الْوَقْتِ كَانَ بِيلاَطُسُ يَطْلُبُ أَنْ يُطْلِقَهُ" (يوحنا ١٩:١٢)

١- تحويل القضية الى هيرودس عندما سمع أنه جليلي، ولكن هذا رفض بدوره لئلا يكرر مأساته مع المعمدان.

٢- قدم حلا وسطا بجلده واطلاق سراحه، ولكنهم رفضوا (لوقا ١٦:٢٣, يوحنا ١:١٩)

٣- اعلانه أن المتهم برئ (لست أجد فيه علة)

٤- احكموا عليه بحسب ناموسكم (ليبرر نفسه) ولكنهم رفضوا أيضا متعللين أنه ليس من حقهم قتل أحد.

٥- غسل يديه، وهي العلامة المعروفة للتبرأ من أمر ما.
٦- كما عرض عليهم صفقة استبدال باراباس بيسوع، ولكنهم أصروا على العكس.
٧- استعطاف بيلاطس للمسيح (لي سلطان أن أطلقك) ولكنهم هددوه بأنه ليس محب للقيصر.

هذا وقد صُلب المسيح في ٣٠ أبريل ٧٨٦ رومانية = ٢٩م وقد سُمي ذلك العام في روما بعام الكساد الاقتصادي، ولكنه سُمي فيما بعد بعام "أحداث اورشليم".

بعد الصلب:

يقول التقليد أن بيلاطس رأى في يديه دمًا، فلما غسلهما صار الدم يصرخ: "أنا برئ من دم هذا البار". وعندما كتب اللافتة «يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ مَلِكُ الْيَهُودِ» كان يعبر عن سخريته وضيقه من اليهود، فها هوذا ملككم معلق على الصليب، وأن سلطان روما على اليهود، فهي قتلت حتى الذي قيل إنه ملك اليهود، وإن الذي حُسب ملكًا عليهم صُلب! فلمّا احتجوا عليها ردّ كطفل عنيد غاضب: «مَا كَتَبْتُ قَدْ كَتَبْتُ» (يو ١٩:١٩ و٢٢).

وفي المساء جاء يوسف يستأذن بدفن الجسد – مرقس (١٥:٤٢- ٤٥) – فتاثر بيلاطس أنه مات هكذا سريعًا وسمح له بذلك، أمّا اليهود فقد فرحوا لحظة بموته غير أن الفرحة لم تدم فقد تذكروا نبوته بأنه سيقوم في اليوم الثالث، ومن ثمّ عادوا إلى بيلاطس (مثل الذباب الزنّان!!) يطلبون الأمر

بحراسة القبر لئلا يسرق تلاميذه الجسد ثم يشيعوا أنه قد قام، ونفذ صبر بيلاطس وانتهرهم بقوله: «عِنْدَكُمْ حُرَّاسٌ. اِذْهَبُوا وَاضْبُطُوهُ كَمَا تَعْلَمُونَ»!! (متى ٢٧:٦٥). وظلّ اليهود مذعورين ولمّا سمعوا أنه قام حاولوا رشوة الجنود ليكذبوا أو يصمتوا.

آخر أخبار بيلاطس:

لم يتابع بيلاطس قضية يسوع واتباعه فيما بعد، بل نسيها كلية، ولكن محور تقريره المرفوع إلى القيصر في تلك السنة كان قضية يسوع الناصري، أمّا نهايته فقد كانت عندما تسلّم خطاب "مارشيللوس" والي سورية والمسئول عنه، فسلّم الحكم واتجه الى روما (وما لم يستطع اليهود فعله قام به السامريون) حيث توجّب عليه الدفاع عن نفسه في قضية "مذبحة بلا مبرر". وان كان استمراره في الحكم إحدى عشرة سنة يمثل نجاحًا بذاته!.

الصدام مع السامريين:

بُني هيكل السامريين في أيام الاسكندر وعُين منسى رئيس كهنة له، ولكن يوحنا هركانوس قام بتدميره سنة ١٢٨ ق.م. كان السامريون في انتظار مخلص، حتى ظهر شخص يدّعي النبوة (أسمى نفسه: موسى الثاني) وأشاع اكتشاف بعض محتويات التابوت حيث وضعها موسى في أحد الكهوف، وزعم ذلك المضل أنه سيغلب سبعة أمم ويهزم الرومان، ثم يعيد إلى اليهود مكانتهم ويبني الهيكل، واحتشد الناس عند قرية ثروتانا،

خشي بيلاطس من الفتنة فأرسل بيلاطس فرقتان لا سيما وقد علم أن الثوار مسلحون، واصطف جنود بيلاطس على جانبي الطريق ليلة صعود الثوار عليه، ووصل النبي الكاذب صباحًا إلى بداية الجبل وراح يصيح ويزأر، واستنكر بيلاطس ذلك، ونشبت الحرب، وقاتل القائد السامري ببسالة، ولكن الرومان حسموا المعركة وقتلوا كثيرين وأسروا الباقين وهكذا هلك النبي وأعوانه، ولكن شكوى قدمت لفيكيوس من السامريين وأُرسلت إلى روما، وأُمر بيلاطس أن يتوجه إلى هناك للدفاع عن نفسه أمام ولاة السامرة. أمر كاليجولا بعزل بيلاطس من وظيفته فقط، على أن يحيا كمواطن عادي في روما، أي لم يحكم عليه، ولكن بعض المصادر تفيد بأنه نُفي وأنه انتحر يأسًا إذ أُجبر على قتل نفسه، ولكن يوسيفوس يقول أنه عاش نهاية حياته في شقوق جبل (يسمى جبل بيلاطس)

هذا وقد أشارت الكنيسة منذ البداية إلى أن بيلاطس، وان كان قد جبن فأمر بصلب المسيح، إلا أن تبعة قتله تقع على اليهود أولاً، إلى ذلك أشار القديس بطرس قائلاً: ".. الَّذِي أَسْلَمْتُمُوهُ أَنْتُمْ وَأَنْكَرْتُمُوهُ أَمَامَ وَجْهِ بِيلاَطُسَ، وَهُوَ حَاكِمٌ بِإِطْلاَقِهِ." (أعمال ٣: ١٣)، كذلك يقول العلامة أوريجانوس أن اليهود هم الذين صلبوه وليس بيلاطس. ورغم أن بعض المصادر تفيد أنه آمن بل وصار شهيدًا بحسب تقليد قبطي حيث يُعيَّد له في ٦/٢٥ أمّا اليونانيين فيعيدون له في ١/٢٧، لكن الأدلة غير كافية حتى الآن لتأكيد هذه التقاليد. (راجع كتابنا بيلاطس البنطي).



(٩) بـــــروكـــــــولا

(٩)

بروكولا

زوجة بيلاطس.. الخائفة الرب

هي واحدة من شخصيات الظل في دراما الصلب، إنها وثنية رغم محاولات البعض القول بأنها كانت مسيحية أو يهودية في ذلك الوقت، ولكن فيما يخص إن كانت قد صارت مسيحية، فمن وجهة نظرنا أن هذا لم يحدث قبل صعود السيد المسيح. ولكن ورغم أنها وثنية في وقت أحداث القبض على المسيح ومحاكمته، إلاّ أنها متدية بشكل عام، وتخشى الآلهة وتتأثر بالمعجزات ولها قلب طيب. وعندما عين طيباريوس قيصر بيلاطس والياً على اليهودية بتوصية من سيجانوس (رجل القصر القوي) كان بيلاطس مايزال خطيباً لـ "بروكولا" وكانت هي ماتزال في السابعة عشر من عمرها.

بروكولا: اسم تأنيث لعشيرة تسمى البروكليين، مثل قولنا سامرية (أي تتبع عشيرة السامريين) وقد شاع اسم بروكولا *Procula* من بروكليا *Proculia*، أما اسمها الكامل فهو "كلوديا بروكولا" وفي بعض المخطوطات العرية (مثل مخطوطة بيلاطس البنطي الموجودة في دير مارجرجس بحارة زويلة) جاء اسمها: "أباركل" العجيب أن الاسم بروكولا مقتبس من لفظة تعني "منبوذة"!

كان جد بروكولا شخصا مشهورا يدعى "جرايوس بروكوليـوس"، وكان صديقا لأغسطس قيصر، وربما كانت هناك صداقة أو صلة قربى بين العائلتين، حيث ورد في بعض المصادر التاريخية أن بروكولا هـي ابنـة "كلوديا" الزوجة الثالثة لطيباريوس قيصر، وبذلك تكون بروكـولا حفيـدة أغسطس قيصر..

ورثت بروكولا مقر العائلة بالقرب من "ميسينا" حيث تربت مرفهة متدينة، في حين لم يكن بيلاطس متدينًا (وان لم يكن متعصبًا بطبعه ضد أية ديانة) وكان أمر أغسطس قيصر يقضي بتفضيل الوالي الأعزب على الوالي المتزوج، وفي حالة كونه متزوجًا وجب عليه ترك زوجته في روما، وقـد خفف طيباريوس قيصر من حدة هذا القانون رغم إبقاءه عليه، وهو نفـس القانون الذي يفرض على البحار ترك زوجته وعدم اصطحابها معـه فـي رحلاته، وتفضيل عدم وجود الموظف وزوجته في وظيفـة واحـدة. وقـد استراح كل من أزواج وزوجات أولئك الولاة الرومان لهذا القانون، حيـث كان كل طرف في غنى عن رقابة الطرف الآخر في وقـت انتشـر فيـه الانحراف والخلاعة، غير أن زوجة بيلاطس آثـرت البقـاء إلـى جـوار زوجها، وقد يعكس هذا محبة أحدهما للآخر وكذلك محبة بروكولا نفسـها لاستقامة السلوك. عندما تزوج بيلاطس من بروكولا لم تكن عائلتـه فـي مستوى ثراء عائلة البروكليين، ولكن جمع العائلتين حبهم للفروسية ومالهـا من التاريخ العسكري، وقد تزوجا في ١٤ يونيو سنة ٢٦ ميلادية

وعندما وصلت اليهودية صارت لها علاقات حميمة مع نساء قيصرية وأورشليم، واهتمت بقضايا الولاية، ولكن مع ذلك لم يكن بيلاطس يقبل الأخذ برأيها كثيرًا، وإضافة إلى عشقها للفنون والثقافة فإنها كانت أيضا تخشى الآلهة، فلما سمعت بيسوع الناصري أدركت أنه ينتمي إلى الآلهة، وتأثرت به وتعاطفت معه عندما لاحظت معاداة اليهود له، وعند القبض عليه ومحاكمته تمنت لو أن بيلاطس ينسحب ويتخلى عن محاكمته، ويظن البعض أنها اهتدت إلى اليهودية وهي ماتزال بعد في روما.

حلم بروكولا:

أتاحت الحفلات الكثيرة التي شاركت فيها بروكولا على مدار ثلاث سنوات التعرف عن كثب على شخصية المسيح وتعاليمه ومعجزاته، ومن ثم شعرت أنه يمكن أن يكون نبيًا وربما إلهًا، ومن هنا تحمست لقضيته وهابته وأحبته. ولا شك أن أحاديث طويلة دارت بين بيلاطس وبروكولا، خلال الامسيات وبعيدًا عن العمل والرسميات، عن شخصية يسوع المسيح وما يدور حوله من جدل، ومن المؤكد أن أهم تلك الأحاديث تلك التي دارت ليلة محاكمته، لا سيما بعد تلك الزيارة المشبوهة عندما مر رئيس الكهنة قيافا به في منزله للاتفاق على تسوية القضية لصالح أعداء يسوع..

بكر بيلاطس في الخروج إلى دار الولاية بينما كانت هي ما تزال في فراشها، وقد استيقظت لاحقًا من نومها مذعورة ، فأسرعت وتناولت قرطاسًا وربما قرصًا من الشمع (وهي طريقة متبعه في ذلك الوقت في

المراسلات) لتكتب رسالة تحذيرية توسلية، حمّلتها لأحد حراسها إلى بيلاطس وهو جالس على كرسي القضاء: «إِيَّاكَ وَذلِكَ الْبَارَّ، لأَنِّي تَأَلَّمْتُ الْيَوْمَ كَثِيرًا فِي حُلْمٍ مِنْ أَجْلِهِ».» (متى ٢٧:١٩).

ولم يكن من المألوف أو اللائق أن تُقطع جلسة محاكمة رومانية على هذا النحو، كما لم يحدث أن أرسلت زوجة حاكم روماني إلى زوجها تحذّره أو تستعطفه هكذا.. وكان القانون الروماني يحرّم بشدة أية إشارة أو رسالة أو إيعاز من شأنه التأثير على سير القضية، حيث يعاقب بشدة من يقدم على ذلك ..

اضطرب بيلاطس وتضايق حالما فض الرسالة وقرأها، ومع ذلك فقد اسهمت هذه الرسالة وهذه اللفتة في زيادة محاولات بيلاطس لتخليص المتهم الواقف أمامه من الموت، حيث بثت فيه الرسالة روح العدالة الرومانية، والتي تقول " أقم العدل ولو انطبقت السماء على الأرض" ومن ثم راح يدرس القضية بتدقيق اكثر، مما ضايق اليهود.. وربما ظن بعضهم أنه قد أتته رسالة من رئيسه بهذا الخصوص!.

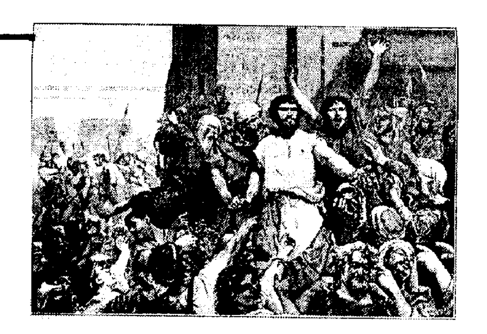
ويرد في كتاب نيقوديموس (وهو كتاب أبوكريفي): قال بيلاطس لليهود "تعلمون أن زوجتي وثنية، وأنها بَنَتْ لكم مجامع كثيرة، لقد أنبأتني بأن يسوع رجل صدّيق وأنها تألمت من أجله في حلم".. ورد اليهود "قلنا لك أن يسوع الناصري هو رجل ساحر وهو الذي أرسل حلمًا إلى زوجتك، وقال بيلاطس ليسوع "ما رأيك فيما يقولون؟" فقال: "لو لم تكن لهم قدرة على الكلام لكان أفضل لهم...".

وحاول بيلاطس تخليصه من أيديهم ففشل، وحـــاول فـــي المقابـــل تحويل القضية لهم ولكنهم رفضوا لينسبوا قتله إلى الرومان، وكان قد نُـــزع منهم حق تنفيذ حكم الموت في أي شخص منذ سبعين سنة مضت من ذلـــك الوقت، وإن كانوا قد كسروا هذا الأمر بقتلهم استفانوس بعد ثلاث ســـنوات فقط ودون الرجوع إلى الرومان.. ويكون متى قتل الرومان يسوع أن يُنسب هذا القتل لجريمة تتعلق بأمن روما لا ناموس اليهود!!

وكما ارسلت بروكولا معلنة " إِيَّاكَ وَذلِكَ الْبَارَّ " فقد هتف بيلاطس "إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هذَا الْبَارِّ!...." (متى ٢٧: ٢٤).

بقية أخبار بروكولا:

نسمع بعد ذلك عن هياج أهل السامرة ضد بيلاطس لقتلـــه عـــددًا كبيرًا منهم، وأنهم قد قدموا شكاية ضده للامبراطور سنة ٣٦م. حيث أمـــر بنفيه هو وزوجته، ويرد في بعض التقاليد أن بروكولا والتي تتبعت خطوات المسيح وتعاليمه، إبان وجوده على الأرض قد تحولت إلى المســـيحية بعـــد ذلك. وإذا صدقت التقاليد التى تفيد بأن كلاهما قد صار مســـيحيًا فســـتكون بروكولا قد آمنت أولاً.



(١٠) بـــــاراباــــــاس

(١٠)

باراباس

فَفِيمَا هُمْ مُجْتَمِعُونَ قَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ:
«مَنْ تُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ؟ بَارَابَاسَ
أَمْ يَسُوعَ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ؟»
(متى ٢٧: ١٧)

هو الشخصية التي يضعها الكثيرين في المقارنة مع المسيح في أحداث الصلب، ومن الطريف أن نعرف أن الاسم الكامل لباراباس هو "يسوع باراباس" مقابل "يسوع المسيح"، وعندما سألهم بيلاطس هل يطلق لهم باراباس أم يسوع المسيح كان في الواقع يقصد "يسوع الذي يدعى باراباس أم يسوع الذي يدعى المسيح"؟

وقد كتب أوريجانوس في تفسيره لإنجيل القديس متى عن باراباس أن اسمه بالفعل "يسوع تيريوس باراباس" وذلك بحسب المخطوطات، وتفسير الاسم باراباس هو:"ابن اباس" أو "بار ربان" ومعناه "ابن المُعلّم" حيث كان أبوه معلّمًا كبيرًا في ذلك الوقت، وفي اللغتين العبرية والعربية ينطق "ابن عباس"!.

باراباس ينتمي إلى حزب الغيوريين "حزب زايلوت"، وهي طائفة من بين طوائف اليهود (فريسيون. صدوقيون. ناموسيون. كتبة.

هيرودسيون. أسينيون. غيوريون)، وهو حزب أو طائفة مالت إلى استعمال السلاح، وقد اصطدموا ببيلاطس البنطي أكثر من مرة أثناء حكمه وقتلوا كثيرين، وقتل بيلاطس منهم كذلك الكثيرين، ومنهم القديس سمعان الغيور حيث ترك طائفته وتبع المسيح "مَتَّى وَتُومَا. يَعْقُوبَ بْنَ حَلْفَى وَسِمْعَانَ الَّذِي يُدْعَى الْغَيُورَ." (لوقا٦:١٥) وقد ضاق بهم تيطس ذرعًا فقضى عليهم سنة ٧٠م. بعد تدمير أورشليم.

لماذا سُجن باراباس:

لم يكن باراباس نبيًا كاذبًا فحسب (شأن المسحاء الكذبة في تلك الأيام)، بل كان ثائرًا عنيفًا عنيدًا، وكان يحظى بحب اليهود وتقديرهم، وعلّة ذلك كرهه للرومان ومقاومته لهم، وُلد باراباس غالباً سنة ١٥ق.م. إذ كان عمره عندما أطلق بيلاطس سراحه خمسة وأربعين عامًا، وينسبون لقبه إلى تسميته لنفسه "بار أبّاس" (ابن المعلّم). ويقول الكتاب عنه أنه مثير فتنه وأنه قُبض عليه مع رفاقه "وَكَانَ الْمُسَمَّى بَارَابَاسَ مُوثَقًا مَعَ رُفَقَائِهِ فِي الْفِتْنَةِ، الَّذِينَ فِي الْفِتْنَةِ فَعَلُوا قَتْلاً." (مرقس ١٥: ٧) ويضيف القديس لوقا أنه ارتكب جرائم قتل " فَأَطْلَقَ لَهُمُ الَّذِي طُرِحَ فِي السِّجْنِ لأَجْلِ فِتْنَةٍ وَقَتْل، الَّذِي طَلَبُوهُ، وَأَسْلَمَ يَسُوعَ لِمَشِيئَتِهِمْ." (لوقا ٢٣: ٢٥) ومع أن البعض رأى أنه كان رئيس عصابة وقاطع طريق، إلاّ أن الأرجح أنه قام على رأس جماعة من الغيوريين بحركة تمرد محدودة ضد الرومان، فإنه من الصعب أن يحكم الرومان على رجل بالصلب لمجرد أنه لص، وقد قام الرومان بسحق هذه الحركة وربما تحفظوا على باراباس ليساوموا اليهود عليه عند الحاجة.

ولكن لماذا قام باراباس بحركة التمرد هذه؟ ويرد بعض المفسرين أنه ثار ضد الرومان بسبب أنهم استخدموا بعضًا من أموال الهيكل في مشروعات مدنية، وهو نفس السبب الذي جعل الجليليين في مناسبة أخرى يتظاهرون في الهيكل في الفصح عندما سمعوا أن بيلاطس قد استولى على أموال الهيكل الآتية من بابل، حيث قُتل كثيرون منهم في المكان الذي تباع فيه الذبائح في الهيكل "وَكَانَ حَاضِرًا فِي ذلِكَ الْوَقْتِ قَوْمٌ يُخْبِرُونَهُ عَنِ الْجَلِيلِيِّينَ الَّذِينَ خَلَطَ بِيلاَطُسُ دَمَهُمْ بِذَبَائِحِهِمْ." (لوقا ١٣: ١).

وفي المحاكمة..

عرض عليهم بيلاطس أن يطلق سراح يسوع، حيث أنه شخصية أهم ومثيرة للجدل أكثر، وذلك رغبة منه في جعل العيد أكثر بهجة، وكانت العادة أن يطلق لهم معتقلاً هامًا يكون للافراج عنه صدى بين الأمة، ولكن اليهود من ناحية كانوا يسعون كثيرا في إطلاق سراح باراباس لعلاقة ما بينه وبين السنهدريم، حيث يرى العالم إيوالد أن السنهدريم طلب إطلاق سراحه لأنه ينتمي لعائلة عضو من أعضائه، ومن جهة اخرى استنكروا أن يُنقض اتفاقهم معه منذ الليل من جهة صلب المسيح، فكيف يعرض عليهم اطلاق سراحه مستخفاً بهم!!، ومن وجهة ثالثة فهو ثائر ضد الرومان حيث يشبع ذلك عندهم كرههم الشديد لهم.

وربما كان بيلاطس قد أحضر باراباس في جهة والمسيح في الجهة الأخرى ليختاروا بينهما، ولكن رؤساء اليهود لم يكتفوا بطلبهم بل حرضوا

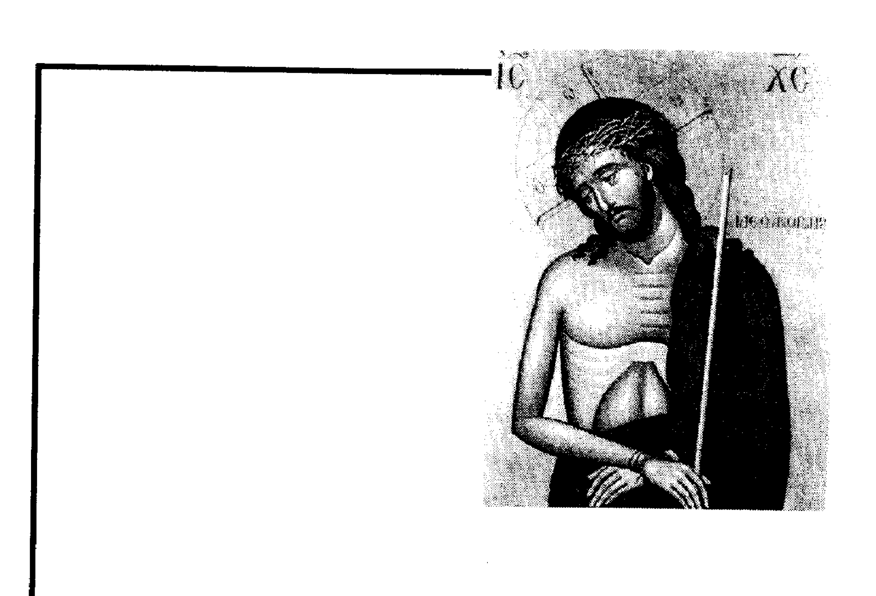
الجمع أيضًا "وَلكِنَّ رُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخَ حَرَّضُوا الْجُمُوعَ عَلَى أَنْ يَطْلُبُوا بَارَابَاسَ وَيُهْلِكُوا يَسُوعَ. فَأجَابَ الْوَالِي وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ مِنَ الاثْنَيْنِ تُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ؟» فَقَالُوا: «بَارَابَاسَ!». قَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ: «فَمَاذَا أَفْعَلُ بِيَسُوعَ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ؟» قَالَ لَهُ الْجَمِيعُ: «لِيُصْلَبْ!» فَقَالَ الْوَالِي: «وَأَيَّ شَرّ عَمِلَ؟» فَكَانُوا يَزْدَادُونَ صُرَاخًا قَائِلِينَ: «لِيُصْلَبْ!» فَلَمَّا رَأَى بِيلاَطُسُ أَنَّهُ لاَ يَنْفَعُ شَيْئًا، بَلْ بِالْحَرِيِّ يَحْدُثُ شَغَبٌ، أَخَذَ مَاءً وَغَسَلَ يَدَيْهِ قُدَّامَ الْجَمْعِ قَائِلاً: «إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هذَا الْبَارِّ! أَبْصِرُوا أَنْتُمْ!». فَأَجَابَ جَمِيعُ الشَّعْبِ وَقَالُوا: «دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلاَدِنَا». حِينَئِذٍ أَطْلَقَ لَهُمْ بَارَابَاسَ، وَأَمَّا يَسُوعُ فَجَلَدَهُ وَأَسْلَمَهُ لِيُصْلَبَ" (متى ٢٧: ٢٠-٢٦).

وكان بيلاطس مخطئًا في عرضه لتلك الصفقة لأن اليهود كرهوا يسوع وأحبوا باراباس، كما أنه ارتكب أكبر خطأ قانوني حين أطلق سراح المجرم وأمر بصلب البريء.. ويقول الآباء أن النطق بالحكم كان غريبًا، فبعد أن تأكد بيلاطس من براءة يسوع أصدر حكمه والذي يمكن أن نتصوّر منطوقه هكذا: "حكمت المحكمة حضوريا ببراءة المتهم ويسلم للموت!!"

ولكن كيف يطلبون اطلاق سراح شخص قاوم روما، في حين يقدمون يسوع للصلب بحجة أنه يقاوم روما؟! إنه شئ من التخبط يقع فيه اليهود ورؤساؤهم.. " مِنْ هذَا الْوَقْتِ كَانَ بِيلاَطُسُ يَطْلُبُ أَنْ يُطْلِقَهُ، وَلكِنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَصْرُخُونَ قَائِلِينَ:«إِنْ أَطْلَقْتَ هذَا فَلَسْتَ مُحِبًّا لِقَيْصَرَ. كُلُّ مَنْ يَجْعَلُ نَفْسَهُ مَلِكًا يُقَاوِمُ قَيْصَرَ!»." (يوحنا ١٩: ١٢)

هذا وقد رسم البعض لوحة تصور باراباس وهو خارج من السجن، بينما يحيط به كثيرون يهنئونه، ويصوِّر ملامحه جيدًا، فقد كان يتوقع الموت بين آن وآخر.. وقد تخيل قداسة البابا شنودة الثالث وهو أديب وشاعر، كيف حدّث باراباس نفسه وهو خارج إلى الحرية ناظرًا إلى المسيح واقفًا مقيدًا في انتظار الموت، فكتب واحدة من أروع قصائدة "**من ألحان باراباس**"

أنتَ لم تنصتْ إلى الحية بل ... أخطأتْ أمي وأصغتْ لنداها
أنتَ لم تقطف من الجنة بل ... قطفتْ امي حرامًا من جناها
أنتَ قدوس طهــور إنما أنا ... من شرُّد في الأرض وتاها
أنتَ عالٍ في سمـــاءٍ إنمـــا ... أنا ابنُ الأرضِ أصلي من ثراها
فلماذا أنت مصلــوبٌ هنـــا؟ ... وأنا الخاطي حرٌ أتباهى
حكمةٌ ياربُ لا أدركُهـــا ... وحنانٌ قد تسامى وتناهى



(١١) إكـــليـــل الـشـــوك

(١١)

إكليل الشوك

استحى المؤرخون الرومانيون واليونانيون أن يسجلوا تفاصيل عملية الصلب، كما كانت تجرى في عصر السيد المسيح، فقد كانت عملية الصلب في البداية تتم بترك المحكوم عليه مقيدًا في عمود أو شجرة دون طعام أو شراب حتى يموت، بينما تحوم حوله الوحوش والجوارح، ثم تطورت عملية الصلب قسوة حتى أصبح تنفيذها مأساة بشرية مفجعة..

ففي القانون الروماني كان يكتفي بعملية الصلب نفسها، ولكن التنفيذ رافقه الكثير من الاستهزاء والسخرية وحرمان المحكوم عليه من أبسط الحقوق الإنسانية، فكان يُجَر إلى مكان تنفيذ الحكم عارياً وسط استهزاء المارة، كما كان القانون يقضي بعدم جلد المحكوم عليه، لأن الجلد في حد ذاته كان عقوبة قاسية وكان البعض يفقد حياته فيها، وقد جُلد السيد المسيح بأمر بيلاطس لعل ذلك يرضي اليهود ولكنهم لم يرضوا!!

وما أن رضخ بيلاطس لمشيئة اليهود "فَأَطْلَقَ لَهُمُ الَّذِي طُرِحَ فِي السِّجْنِ لأَجْلِ فِتْنَةٍ وَقَتْلٍ، الَّذِي طَلَبُوهُ، وَأَسْلَمَ يَسُوعَ لِمَشِيئَتِهِمْ" (لوقا ٢٣:٢٥) وما أن تسلم الجند المحكوم عليه بالصلب وأدركوا أن مصيره الموت (بعد محاولات كثيرة من بيلاطس لإطلاق سراحه) حتى رأوا أنه لا بأس من أن يتسلّوا به، لا سيما وأنهم يحملون لليهود كراهية شديدة،

وأغلب الظن أن كتيبة الاعدام هنا كانت تتكون من جنود مرتزقة من الوثنيين الذين حول فلسطين يعملون لحساب الرومان..

لقد سخروا منه فألبسوه الثوب الارجواني (ثياب الملوك، وجعلوا قصبة في يمينه وهو مقيد (صولجان الملك)، ووضعوا إكليلاً من شوك على رأسه، وكان ذلك يتناسب مع تهمته وهي أنه ملك اليهود!! (وبذلك فهو ضدّ القيصر). بل أنهم هزأوا به عندما طلبوا إليه أن يتنبأ عمن ضربه، إذ سمعوا أنه نبي أيضا!! ولم يعلموا وقتها أنه ملك الملوك ورب الأرباب والعالم بكل شئ وخالق الكل..

إكليل الشوك:

كان الاباطرة يضعون على رؤوسهم اكاليل من الغار (يشبه الفل)، وكان الإكليل متعدد الاشكال، أحياناً مثل أشعة الشمس وأحياناً حلقة بسيطة، كما كان إكليل الغار هو مكافأة الابطال المصارعين والرياضيين والأمراء المنتصرين، ومن العجيب أن نعرف أن تيجان الملوك المسيحيين لاحقًا كانت تحلى بمسمار!! وذلك امتداد لتقليد بدأته الملكة هيلانة مع ابنها قسطنطين عندما أرسلت إليه أحد مسامير الصليب ليزين به خوذته وتاجه.. ليس ذلك فقط بل تزينت أكاليل بعضهم بما يشبه الشوك أيضًا، وهكذا جمع الاباطرة – الذين سخر أسلافهم من المسيح كملك – جمعوا كل علامات السخرية والعقاب ليضعوها بفخر في أكاليلهم..

ولقد صار الشوك لعنة بعد سقوط آدم فقد أنبتت له الأرض شوكًا، وقد ورد الشوك في الكتاب المقدس في عدة اشكال وأسماء، مثل **الشوك والحسك**: "وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ" (تكوين ٣:١٨)، **والعوسج**: "أَحْسَنُهُمْ مِثْلُ الْعَوْسَجِ، وَأَعْدَلُهُمْ مِنْ سِيَاجِ الشَّوْكِ. يَوْمَ مُرَاقِبِيكَ عِقَابُكَ قَدْ جَاءَ. الآنَ يَكُونُ ارْتِبَاكُهُمْ." (ميخا ٧:٤)، "وَيَطْلَعُ فِي قُصُورِهَا الشَّوْكُ. الْقَرِيصُ وَالْعَوْسَجُ فِي حُصُونِهَا. فَتَكُونُ مَسْكِنًا لِلذِّئَابِ وَدَارًا لِبَنَاتِ النَّعَامِ." (إشعياء ٣٤:١٣)، **والقريص**: "عِوَضًا عَنِ الشَّوْكِ يَنْبُتُ سَرْوٌ، وَعِوَضًا عَنِ الْقَرِيسِ يَطْلَعُ آسٌ" (إشعياء ٥٥:١٣)، **والعليق والوعر**: "إِلَى أَنْ يُسْكَبَ عَلَيْنَا رُوحٌ مِنَ الْعَلاَءِ، فَتَصِيرَ الْبَرِّيَّةُ بُسْتَانًا، وَيُحْسَبَ الْبُسْتَانُ وَعْرًا" (إشعياء ٣٢:١٥). وبخلاف هذه الأنواع، فقد وردت في الكتاب المقدس حوالي اثنتان وعشرون كلمة تعبر عن الشوك، أشهرها هذه الخمسة، ومع ذلك فالفروق بين هذه الأنواع الخمسة ليست كبيرة، باستثناء القريص وهو نبات ذو وبر شائك، إذا لامس الجسم أحدث به حكة شديدة والتهابات.

وتكللت الأرض بالشوك بدلاً من المجد الذي وهبها الله إياه، لقد مجدها كطبيعة جميلة فكل ما عمله هو حسن .. وهكذا صار الشوك شكلاً من أشكال اللعنة التي حملها الله عنا، هكذا تنبأ اشعياء النبي: "عِوَضًا عَنِ الشَّوْكِ يَنْبُتُ سَرْوٌ، وَعِوَضًا عَنِ الْقَرِيسِ يَطْلَعُ آسٌ. وَيَكُونُ لِلرَّبِّ اسْمًا، عَلاَمَةً أَبَدِيَّةً لاَ تَنْقَطِعُ" (اشعياء ٥٥:١٣).

أما إكليل الشوك الذي ضفره الجند للمسيح، فقد اخذوه من نبات مورق ذي أشواك ناتئة، وفي فلسطين هناك نوعان من تلك النباتات، أولها يسمى "زيزفون اللوتس"، والآخر أُطلق عليه لاحقًا "زيزفون شوك يسوع". ويعتقد العلماء أن هذا النوع من الشوك يُسمى في العبرية "سارح" أو "شيراخ" وهو شوك حاد جدًا في أطرافه، يدمي الجسم إذا انغرس فيه، والأرجح أن إكليل الشوك الذي وضعه الجند على الرأس المقدسة لم يكن مجرد حلقة، وانما عبارة عن طاقية، حيث اثبتت دراسات الكفن أن الرأس كله كان داميًا..

فإذا ما انغرست شوكة واحدة في قدم إنسان آلمته ورتفعت حرارة جسمه، فكم بالأحرى عندما تحتضن طاقية رهيبة من الشوك رأس إنسان، ثم يضربه أحد الجنود على رأسه وكأنه يثبتها أو بالأحرى يتأكد من أنها ستدمي الرأس كله "وَبَصَقُوا عَلَيْهِ، وَأَخَذُوا الْقَصَبَةَ وَضَرَبُوهُ عَلَى رَأْسِهِ." (متى ٢٧: ٣٠) وعوضا عن الجواهر والدرر التي يختارها الملوك ليزينوا بها أكاليلهم، اختار المسيح جواهر إكليله من الدماء وحبات العرق والتي هي أغلى الدرر لأنها "جروح حبه" ..

هناك اكثر من قصة رمزية عن نبات الشوك، تروى إحداها كيف تقدم أحد الجنود إلى الشوك وصنع منه إكليلا، وكيف أن الشوك رأى إنسانا رائعًا هادئًا رزينًا يشع قداسة، والنور يكلل رأسه. لقد كان منظر المسيح مؤلمًا وهو جالس على الكرسي والجند يسخرون منه صانعين صورة

كاريكاتورية لملك بشري، ولكن المسيح حول اللعنة إلى بركة، والعار إلى مجد، والإهانة إلى كرامة..

ولقد كان منظره وهو خارج مهانًا وعلى رأسه إكليل الشوك يشبه خروج آدم من الفردوس، وها هو يفديه في بستان أيضًا. هذا المشهد جعل القديس بولس يشتهى الخروج معة مشتركًا في آلامه: "فَلْنَخْرُجْ إِذًا إِلَيْهِ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ حَامِلِينَ عَارَهُ" (عبرانيين ١٣:١٣). كما يرى بعض الشراح في قول بيلاطس البنطي عن المسيح وهو مكلل بالشوك "هوذا الانسان" معنى "هوذا آدم"!! قد وصل إلى هذه الحال، هكذا أخذ آدم الثاني مكان آدم الأول ليعيده إلى رتبته "لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ، هكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ" (كورنثوس الأولى١٥:٢٢).

هكذا سخروا منه بشدة:

فقد عرّوه وألبسوه رداء قرمزيًا ليسخروا منه كملك، مثلما وضعوا قصبة في يمينه وكأنها صولجان الملك، وسجدوا له كما يفعلون أمام القيصر، وبصقوا عليه، وضربوه على رأسه وعرّوه.. "فَأَخَذَ عَسْكَرُ الْوَالِي يَسُوعَ إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ وَجَمَعُوا عَلَيْهِ كُلَّ الْكَتِيبَةِ، فَعَرَّوْهُ وَأَلْبَسُوهُ رِدَاءً قِرْمِزِيًّا، وَضَفَرُوا إِكْلِيلاً مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَقَصَبَةً فِي يَمِينِهِ. وَكَانُوا يَجْثُونَ قُدَّامَهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ قَائِلِين:«السَّلاَمُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!» وَبَصَقُوا عَلَيْهِ، وَأَخَذُوا الْقَصَبَةَ وَضَرَبُوهُ عَلَى رَأْسِهِ. وَبَعْدَ مَا اسْتَهْزَأُوا بِهِ، نَزَعُوا عَنْهُ الرِّدَاءَ وَأَلْبَسُوهُ ثِيَابَهُ، وَمَضَوْا بِهِ لِلصَّلْبِ" (متى ٢٧:٢٧-٣١).

وهكذا اكتملت صورة الانسان من جهة ما وصل إليه قبل الفــداء، منتهى المهانة، كل ذلك حمله المسيح ولم يستحِ منه، وحوّله إلى نصرة وإلى مجد، ويمكننا مقارنة مشهد المسيح وهو سائر نحو الصلب وســط ســخرية الجنود واليهود والرؤساء الشامتين، ومنظر المسيح القائم ونحن نحتفل بــه ليلة عيد القيامة، حيث موكب النصرة الذي أشار اليه القديس بولس متمنيــاً أن يقودنا معه في هذا الموكب "وَلكِنْ شُكْرًا للهِ الَّذِي يَقُودُنَــا فِــي مَوْكِــبِ نُصْرَتِهِ فِي الْمَسِيحِ كُلَّ حِينٍ" (كورنثوس الثانية ٢:١٤)، وهو مــا تصــوره الكنيسة بإبداع في ليلة عيد القيامة وطول الخمسين المقدسة.

هل عُلِّق المسيح مكللاً بالشوك؟

الأرجح أن ذلك لم يحدث، بل وبينما كان المصلوب يُعرى تمامــاً فإن ذلك لم يتم مع يسوع الناصري، وذلك لأن القانون والتقليد اليهــودي لا يقبلان ذلك، مثلما يُمنع أيضا بقاء الأجساد معلقة بعد غروب الشمس، هــذا يفسر لنا أيضًا لماذا أعادوا إليه ثيابه بعد الجلد "وَضَفَرَ الْعَسْكَرُ إِكْلِيلاً مِــنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَأَلْبَسُوهُ ثَوْبَ أُرْجُوَانٍ" (يوحنــا ١٩:٢) ولكــن الأرجح أنه عند الصلب ترك القصبة والإكليل والرداء.. (والذي هو عبــاءة رومانية مهملة)

رحلة إكليل الشوك:

أول معلومات نقرأها عن إكليل الشوك كانت سنة ٤٠٩م. حيث كان ما يزال هناك في اورشليم، ثم نعود لنقرأ مــرة أخــرى أنــه نُقــل إلــى

القسطنطينية في سنة ١٠٦٣م بأمر الامبراطور البيزنطي، وذلك بعد أن كانت بعض أشواكه قد نُزعت لتُهدى إلى بعض الملوك في أوربا.

وفي سنة ١٢٣٨م. قام الامبراطور اللاتيني "بالدوين الثاني *Baldwin II* باهدائه للملك الفرنسي لويس الحادي عشر ليكسب وده، وذلك بسبب اهتزاز امبراطورية الأول، وقد قام لويس ببناء كنيسة فخمة ليضعه فيها.

وخلال الثورة الفرنسية حُفظ الإكليل في المكتبة الأهلية في باريس *Bibliotheque National de France* واستمر هناك حتى سنة ١٨٠٦م. حيث تم نقله (وقد قلّت أشواكه) إلى كاتدرائية نوتردام في فرنسا ومايزال هناك حتى اليوم.

"أعطني يا مخلصي أن اعتبر عذابك كنزي،
وإكليل شوكك مجدي، وأوجاعك تنهدي،
ومرارتك حلاوتي، ودمك حياتي، ومحبتك فخري وشكري.
ياجراح المسيح: اجرحيني بحربة الحب الالهي،
ياموت المسيح: أسكرني بحب من مات من أجلي،
يادم المسيح: طهرني من كل خطية.."

(صلاة القسمة)



(١٢) جـنـد الـرومـان

(١٢)

جند الرومان

هذَا فَعَلَهُ الْعَسْكَرُ.

(يوحنا ١٩: ٢٤)

كان صلب السيد المسيح في عهد طيباريوس قيصر، والذي كان عمره في ذلك الوقت قد ناهز السبعين، وكان قويًا عنيفًا وإداريًا ناجحًا، كما كان قائدًا عاماً للجند. كانت الوحدة الأساسية للجيش تدعى فرقة، والفرقة قوامها ٤٥٠٠ رجل (أربعة آلاف وخمسمائة رجل)، وتنقسم الفرقة إلى كتائب كل منها ١٢٠ جندي (مئة وعشرين جنديًا) تحت قيادة ضابط قضى مدة طويلة في الجيش، أو أحد الشباب النبلاء.

وفي فلسطين كانت الفرقة الثانية عشرة هي التي تحتل البلاد، وكانت تتكون من فريقين، فريق روماني مقيم في قيصرية مكان كرسي والي اليهودية، والفريق الآخر سوري منتشر على الحدود، كما كان هناك جماعة من الجنود يعسكرون في قلعة أنطونيا وهي ثكنة عسكرية هامة للرومان، بينما كانت منغصة لليهود في أورشليم. هذا وقد أُلحقت بالفرقة الثانية عشرة المُشار إليها، فرقة خاصة من راكبي الجمال (الهجّانة)، والمهندسين، وفريق طبي، ومستشفيات بيطرية، إضافة إلى ما يُعرف الآن بالبوليس الحربي..

وقد كان هناك عداء يهودي مكبوت تجاه الجنود الرومان بشكل عام، يبصقون كلما رأوا واحدًا منهم، ومن جهة الجنود كانت الأوامر إليهم تمنع الرد على ذلك، ومع ذلك فقد أحب اليهود بعضًا من قواد المئة الذين أحسنوا إليهم مثل قائد المئة الذي تشفعوا فيه لدى المسيح ورتبوا له موعدًا معه، وزكّوا طلبه عند المسيح واصفين إياه بأنه محب لليهود، خيّر معهم: "لأَنَّهُ يُحِبُّ أُمَّتَنَا، وَهُوَ بَنَى لَنَا الْمَجْمَعَ" (لوقا ٧:٥).

الفرق بين جند الهيكل وجند الرومان:

احتفظ اليهود بفرقة من الجنود المدرَّبين على حراسة المقدسات وفضّ أية اشتباكات محتملة بين المصلين، لا سيما في مواسم مثل الفصح والمظال وغيرها، حيث توجد أعداد غفيرة من جنسيات مختلفة، وكان لهذه الفرقة قائد يدعى "قائد جند الهيكل": وهم الذين قادوا حملة القبض على المسيح في البستان "ثُمَّ قَالَ يَسُوعُ لِرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَقُوَّادِ جُنْدِ الْهَيْكَلِ وَالشُّيُوخِ الْمُقْبِلِينَ عَلَيْهِ:«كَأَنَّهُ عَلَى لِصٍّ خَرَجْتُمْ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ!»" (لوقا ٢٢:٥٢)، ونقرأ عنهم مرة أخرى في سفر الأعمال عند القبض على الرسل حيث كان هناك أيضًا سجنٌ تابع للهيكل، فقد قام بعض اليهود من الصدوقيين وقبضوا على الرسل ووضعوهم في سجن العامة، ولما جاء رئيس الكهنة وأعضاء السنهدريم لمحاكمتهم لم يجدوهم في الحبس إذ كان ملاك الرب قد أخرجهم وأمرهم بدخول الهيكل من جديد للتبشير (أعمال ٥:١٧-٢٧)

وكان لهم زي خاص بهذه الخدمة يذكّرنا بالكشافة وأفراد الأمن المحليين الآن في الكنائس، غير أن جند الهيكل كان لهم بعض السلطان، كما كانوا معرَّضين للعقاب وأحيانًا الفصل والحرمان من الخدمة. وكان ذلك يتم بطريقة قاسية، حيث يُحاكم الجندي المخطئ أو الذي وُجد نائمًا في نوبة خدمته، أو الذي تسبّب في مشكلة كبيرة، بأن تُحرق ثيابه ويُعفى من الخدمة، ولعلنا نجد في ذلك تفسير لقول الرب: "طُوبَى لأُولَئِكَ الْعَبِيدِ الَّذِينَ إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُمْ يَجِدُهُمْ سَاهِرِينَ" (لوقا١٢:٣٧)، وقول القديس يوحنا الرائي: "طُوبَى لِمَنْ يَسْهَرُ وَيَحْفَظُ ثِيَابَهُ لِئَلاَّ يَمْشِيَ عُرْيَانًا فَيَرَوْا عُرْيَتَهُ" (رؤيا١٦:١٥).

ولكن جند الهيكل لم يكن لهم أدنى سلطان على الشعب خارج الهيكل، وكانت قلعة أنطونيا وهي ثكنة عسكرية بجوار الهيكل وتطل عليه، تراقب ما يحدث في الهيكل وعلى أهبة الاستعداد للتدخّل في أي وقت، مثلما حدث مع الجليليين الذين تظاهروا في الهيكل "وَكَانَ حَاضِرًا فِي ذلِكَ الْوَقْتِ قَوْمٌ ·يُخْبِرُونَهُ عَنِ الْجَلِيلِيِّينَ الَّذِينَ خَلَطَ بِيلاَطُسُ دَمَهُمْ بِذَبَائِحِهِمْ." (لوقا ١٣:١) وهم كذلك الذين هبّوا لانقاذ القديس بولس، حين صام أربعون يهوديًا حتى يقتلوه بخدعة.. فخلّصه الأمير من خلال قائد المئة (أعمال ٢٣:١٣-٢٤).

الجنود الذين نفذوا عملية الصلب:

كانت كتيبة الإعدام من الجنود العاملين في الجيش الروماني ولكن من المرتزقة الوثنيين المحيطين بفلسطين، وكان هناك ثلاثة سينفذ فيهم حكم

الاعدام، والأرجح أن اللصين اللذين صُلبا مع المسيح كانا من رجال باراباس.

قام الجند بجلد المسيح وهو مربوط إلى عامود قصير ليصبح منحنيًا تحت سياط الجلادين الذين اجتمعوا حوله بوحشية، وكما سبق القول (في مقال إكليل الشوك) فإن المحكوم عليه بالصلب لا يتعرض للجلد، فالجلد في حد ذاته هو عقوبة مستقلة، بل كان الجلد يسمى بـ "عقوبة نصف الموت" أو "الموت البطيء"، وهناك فرق بين الجلد اليهودي والجلد الروماني، فالجلد اليهودي له قانون إذ يجب ألا تزيد الجلدات عن أربعين جلدة، ولأن السوط كان ثلاثي الأفرع فقد كانوا يكتفون بثلاث عشرة جلدة مضروبة في ثلاثة ليصبح العدد تسعة وثلاثين، وهذا يفسر تعبير القديس بولس "مِنَ الْيَهُودِ خَمْسَ مَرَّاتٍ قَبِلْتُ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً إِلاَّ وَاحِدَةً." (كورونثوس الثانية ١١:٢٤). أمّا الجلد الروماني فلم يراعِ العدد ولا الشفقة. ومع أن الجلد اليهودي لا يُميت وقد تُشفى جروحه إلاّ أن عاره لا ينتهي ولا يُمحى. وكان الجلد يتم على الحقوين والكتفين، ويردد الجلاد اليهودي أثناء الجلد "اَلثَّوْرُ يَعْرِفُ قَانِيَهُ وَالْحِمَارُ مِعْلَفَ صَاحِبِهِ، أَمَّا إِسْرَائِيلُ فَلاَ يَعْرِفُ. شَعْبِي لاَ يَفْهَمُ"، وهي اقتباس من سفر إشعياء (إشعياء ١:٣). ويُقال أن السياط التي كان اليهود يجلدون بها المجرمين كانت تصنع من أمعاء ثور وحمار!!. أمّا الجلد الروماني فيقوم به شخص مدرب يدعى "الجلاد"، وكان السوط ويسمى "الفراجليون"؛ عبارة عن عصا مثبت بها عدة سيور من الجلد تنتهي بقطع من العظام أو الرصاص غير المهذب.

تلى قائد الفرقة التهمة ومضمونها أن يسوع الناصري ادعى أنه ملك اليهود، مما أثار ضحك واستهزاء الجند، ونلاحظ هنا أن التهمة التي وجهها قيافا إلى المسيح كانت التجديف لأنه قال أنه هو المسيح ابن المبارك، ولكن بيلاطس لم تعنيه هذه الاتهامات مما حدا بقيافا اللجوء إلى السياسة فتحولت التهم إلى إقامة نفسه ملكًا مقاومًا بذلك القيصر!!

عندما جلد الجند يسوع لم يستمر الجلد لأكثر من ثلاث دقائق، وكانت العادة تقضي بالتوقف متى كانت حالة الأسير لا تسمح بالاستمرار، وعندها يأمر القائد بإحضار ماء بارد لغسل الجراح قبل أن يعيدوا إليه الثياب من جديد (ولكن أحدًا من البشيرين لم يذكر أن ذلك تمّ مع المسيح). وبعد ذلك قام أحد الجنود بقطع وثاق المسيح بعنف فسقط على الأرض، وربما يكون الغسل قد أفاقه فأجلسوه على العمود عاريا، وهو الوقت الذي وضع فيه الجندي اكليل الشوك على رأسه قبل أن يضربه بالقصبة عليها. وعاد الجند ليسخروا من المسيح بثوب ارجواني ثم وضعوا قصبة في يمينه وراحوا يلطمونه ويبصقون عليه (متى ٢٧:٢٧-٣١) "فَأَخَذَ عَسْكَرُ الْوَالِي يَسُوعَ إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ وَجَمَعُوا عَلَيْهِ كُلَّ الْكَتِيبَةِ، فَعَرَّوْهُ وَأَلْبَسُوهُ رِدَاءً قِرْمِزِيًّا، وَضَفَرُوا إِكْلِيلاً مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَقَصَبَةً فِي يَمِينِهِ. وَكَانُوا يَجْثُونَ قُدَّامَهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ قَائِلِينَ:«السَّلاَمُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!» وَبَصَقُوا عَلَيْهِ، وَأَخَذُوا الْقَصَبَةَ وَضَرَبُوهُ عَلَى رَأْسِهِ. وَبَعْدَ مَا اسْتَهْزَأُوا بِهِ، نَزَعُوا عَنْهُ الرِّدَاءَ وَأَلْبَسُوهُ ثِيَابَهُ، وَمَضَوْا بِهِ لِلصَّلْبِ."

الصلب:

كانت عمليات الصلب تتم في الفصح عادة، إذ كان الحاكم يأتي من قيصرية إلى أورشليم في هذا الموسم ليشرف على الاحتفالات، وأثناء فترة الاحتفالات والتي تستمر لأكثر من اسبوع، كان بيلاطس (الوالي بشكل عام) يجلس للقضاء في قضايا مؤجلة خصيصا له ليفصل فيها. بعد إصدار الحكم على المسيح أمر بيلاطس بإحضار سجينين آخرين أحضروهما من سجن قلعة أنطونيا، وأمام موكب الثلاثة المحكوم عليهم بالصلب تقدم فارس على جواده، وأما كل شخص من المحكوم عليهم فيتقدمه ثلاثة أو أربعة جنود يحملون لوحة مدون عليها تهمته (علته) بينما يحيط بقية الجنود الموكب كله بالرماح.

احضرت الأخشاب من المخزن، وبينما يقوم القائد بالتنظيم، فالبعض يُعدّ الصلبان والآخر يُسمّر والثالث يرفع الصلبان، والبعض يحرس الصلبان والبعض يحفظ النظام والبعض الآخر يسلّي نفسه. حمل كل من المحكوم عليهم عارضة الصليب والتي يبلغ طولها عادة مائة وثمانين سنتيمترًا وسمكها عشرة سنتيمترات، ويصل وزنها إلى اثني عشر كيلوجرامًا، أما يسوع فلم يكن قادرًا على حملها بسبب آلام الجلد و الشوك، بينما استطاع اللصان حملها (في حالات الصلب الجماعي عند إخماد الثورات أو زيادة عدد المصلوبين في المرة الواحدة كانت تستخدم الأشجار أو فروعها في ذلك).

عند التنفيذ أشار القائد إلى الجند فنزع الجنود ثياب المحكوم عليهم، وكوّمت قدامهم ملابسهم وأحذيتهم، ثم تقدم جندي خلف كل منهم وضربه بركبته بعنف في ظهره فسقط على ظهره وساقيه مثنيتين تحته، لكي يتم تسمير اليدين وأحيانًا ربطهما أيضا بالحبال، ومن ثم يرفع ليثبت على العامود القائم ليتم بعد ذلك تثبيت القدمين بمسمار في القائم مع رفع الساقين لأعلى قليلاً، وفي بعض الأحيان كان الصليب بالكامل يُعدّ فوق الأرض ومن ثم يرفع والمصلوب مثبت فيه ليُسقط بعنف في الحفرة المعدة لذلك..

أما قائد المئة الذي اشرف على تنفيذ الحكم:

فهو مثله مثل كل قواد المئة المذكورين في العهد الجديد، نبلاء ممتازون (مثل القائد الذي طلب من المسيح أن يشفي له غلامه، وكرنيليوس، والقائد الذي اكتشف أن بولس روماني، والقائد الذي عهد فيلكس إليه ببولس والقائد الذي رافق بولس في رحلته إلى روما).

هذا القائد اعترف بالمسيح وأعلن اعترافه في تأثر شديد، رغم أن المسيح وقتئذ كان في حالة ضعف كمجرم معلق وليس كإله منتصر وسجّل هذا الاعتراف قائلاً: «حَقًّا كَانَ هذَا الإِنْسَانُ ابْنَ اللهِ!» (مرقس ١٥:٣٩) "وَلَمَّا رَأَى قَائِدُ الْمِئَةِ الْوَاقِفُ مُقَابِلَهُ أَنَّهُ صَرَخَ هكَذَا وَأَسْلَمَ الرُّوحَ، قَالَ:«حَقًّا كَانَ هذَا الإِنْسَانُ ابْنَ اللهِ!»"

الغنيمة:

كان المحكوم عليه يقف وأمامه متعلقاته في شبه كومة، وكانت عادة عبارة عن قميص وثوب ومنطقة وحذاء وأحيانًا عمامة، جعل الجند ثيابه أربعة أقسام لكل منهم قسم، وأما القميص فهو منسوج كله قطعة واحدة، ومن ثمّ اقترعوا عليه حتى لا يضطرون إلى شقه فيتلف، وبذلك تمت النبوة الخاصة بالسيد: "يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ" (مزمور٢٢: ١٨) (وهو المزمور الذي يتكلم عن الآلام والصلب – راجع مقال: قميص المسيح داخل الكتاب).

طعن المسيح بالحربة:

في سنكسار اليوم الخامس من هاتور تحتفل الكنيسة بتذكار ظهور رأس "القديس لونجينوس صاحب الحربة" ويرد عنه أنه آمن بالمسيح، وكرز في بلاد الكبادوك، ويرد في سيرته أن طيباريوس قيصر أرسل فقطع رأسه وأرسلها إلى بيلاطس في اليهودية لكي يريها لليهود، وقد دُفنت الرأس في اورشليم، وحدث أن إمرأة كانت قد آمنت على يديه أُصيبت بالعمى، ثم مرض ولدها فأخذته إلى أورشليم حيث مات هناك، فبكت كثيرًا ولما نامت رأت القديس لونجينوس في الحلم يقول لها: "اذهبي إلى المكان الذي فيه رأسي وارفعيه"، فذهبت إلى هناك ولما فعلت كما أمرها لمع من المكان نور شديد واشتمت رائحة بخور، فانفتحت عيناها وعاش ابنها ومن ثم حملت معها الرأس إلى كبادوكية..

حراسة القبر:

كانت العادة أن يحرس القبر أربعة من الجنود يتغيرون كل ست ساعات، حيث نجد صدى لذلك في حادثة القبض على القديس بطرس أنهم حرسوه بأربع أرابع من العسكر "وَلَمَّا أَمْسَكَهُ وَضَعَهُ فِي السِّجْنِ، مُسَلِّمًا إِيَّاهُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَرَابعَ مِنَ الْعَسْكَرِ لِيَحْرُسُوهُ" (أعمال ١٢:٤). ولم يكن الحرّاس يتسلّمون المكان المراد حراسته قبل استلام ما يتوجب عليهم حراسته بداخله، ولذلك فإن الحراس اطمأنوا إلى وجود جسد المخلّص داخل القبر، وعندئذ وضعوا حبلاً ثبتوه بالشمع من طرفه الأول في الصخرة والطرف الآخر في الحجر، وعلى الشمع في الموضعين ختم بيلاطس البنطي "فَمَضَوْا وَضَبَطُوا الْقَبْرَ بِالْحُرَّاسِ وَخَتَمُوا الْحَجَرَ" (متى ٢٧:٦٦).

وفي اليوم الثالث وعندما قام السيد من القبر، أُصيب الحراس بالفزع الشديد (بسبب منظر ملاك الرب) "فَمِنْ خَوْفِهِ ارْتَعَدَ الْحُرَّاسُ وَصَارُوا كَأَمْوَاتٍ" (متى ٢٨:٤) وجاء بعض منهم إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بما حدث، لعلم الحراس أن الأمر يعني رؤساء الكهنة أكثر من بيلاطس، إذ اكتفى الأخير بصلب يسوع، بينما ألحَّ أولئك عليه بضرورة ضبط القبر"فَمُرْ بِضَبْطِ الْقَبْرِ إِلَى الْيَوْمِ الثَّالِثِ، لِئَلاَّ يَأْتِيَ تَلاَمِيذُهُ لَيْلاً وَيَسْرِقُوهُ، وَيَقُولُوا لِلشَّعْبِ: إِنَّهُ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ، فَتَكُونَ الضَّلاَلَةُ الأَخِيرَةُ أَشَرَّ مِنَ الأُولَى!»" (متى ٢٧:٦٤). ولما سمع الرؤساء لم يجدوا سبيلاً أمامهم سوى التحريض على الكذب واستعمال الرشوة لكي يُشيع الجنود أن تلاميذه أتوا ليلا وسرقوه والحرّاس نيام!!! "وَفِيمَا هُمَا ذَاهِبَتَانِ إِذَا قَوْمٌ مِنَ

الْحُرَّاسِ جَاءُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَأَخْبَرُوا رُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ بِكُلِّ مَا كَانَ. فَاجْتَمَعُوا مَعَ الشُّيُوخِ، وَتَشَاوَرُوا، وَأَعْطَوُا الْعَسْكَرَ فِضَّةً كَثِيرَةً قَائِلِينَ: «قُولُوا إِنَّ تَلاَمِيذَهُ أَتَوْا لَيْلاً وَسَرَقُوهُ وَنَحْنُ نِيَامٌ. وَإِذَا سُمِعَ ذلِكَ عِنْدَ الْوَالِي فَنَحْنُ نَسْتَعْطِفُهُ، وَنَجْعَلُكُمْ مُطْمَئِنِّينَ». فَأَخَذُوا الْفِضَّةَ وَفَعَلُوا كَمَا عَلَّمُوهُمْ، فَشَاعَ هذَا الْقَوْلُ عِنْدَ الْيَهُودِ إِلَى هذَا الْيَوْمِ." (متى ٢٨:١١-١٥).

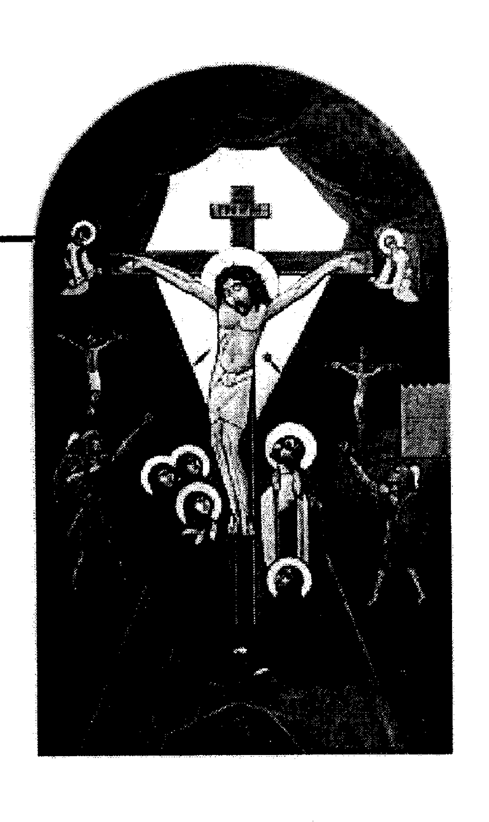
ولكن كيف عرف الحراس أن تلاميذه هم الذين سرقوه إذا كانوا نيامًا؟ ثم كيف يعترف جندي روماني بأنه كان نائمًا في نوبة حراسته!، وبأي حال يسرقه تلاميذه بينما الأكفان موجودة في الداخل.. إن هذه المحاولة من رؤساء الكهنة لم تكن سوى دليل إضافي على قيامة المسيح من الموت.

ولكن لماذا كانت الحراسة ثلاثة أيام؟:

لم يمكث السيد المسيح في القبر أكثر من ثلاثة أيام، كما أنه لم يبق في المقابل أقل من أربع وعشرين ساعة، وفي الواقع مكث السيد في القبر لحوالي ست وثلاثين ساعة، والسبب في ذلك أنه إذا مكث أقل من أربع وعشرين ساعة ثم قام فلربما ظن البعض أنه كان في حالة إغماء وأفاق منها، أما أنه قام في اليوم الثالث فلكي يقوم في وجود الحراس أنفسهم ليكونوا شهودًا للقيامة، لأن العادة أن يحرسوا لمدة ثلاثة أيام فقط ينصرفوا بعدها مباشرة، وكان البقاء حتى انتهاء تلك المدة، ذلك بحسب طلب اليهود أنفسهم (٦٤:٢٧) ولكن السيد المسيح سبق فأشار كثيرًا إلى أنه يتألم ويقتل

وفي اليوم الثالث يقوم "مِنْ ذلكَ الْوَقْتِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلاَمِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيرًا مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومَ." (متى ١٦: ٢١) راجع أيضاً (متى ١٧: ٢٣ ومرقس١٠: ٣٤ ولوقا ٩: ٢٢)، كما كانت هناك إشارات سابقة في العهد القديم مثل بقاء يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ (يونان ١: ١٧) حيث أشار السيد بنفسه إلى ذلك: "لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال " (متى ١٢: ٤٠) راجع أيضا (لوقا١١: ٣٠) وقد كان أي جزء من اليوم في التقليد اليهودي يحسب يومًا كاملاً، واستُخدم اصطلاح ثلاثة أيام وثلاث ليال كثيرًا بغض النظر عن مجموع الساعات في هذه المدة، مثلما حدث مع يوسف الصديق الذي فسر حلمي رئيس السقاة ورئيس الخبازين، حيث قال لكل منهم بعد ثلاثة أيام يرد الواحد إلى رتبته ويقتل الآخر، ثم يقول الكتاب وبعد ثلاثة أيام تحقق ذلك، على الرغم من أن المدة الزمنية بين نبوءة يوسف وتحقيقها لايصل إلى ٧٢ ساعة (أي ثلاثة أيام كاملة) انظر (تكوين ٤٠: ١-٢٠)..

وهكذا دخل أولئك الجنود التاريخ ولكن من باب الشر وحق فيهم الوصف الذي أُعطي لآخرين أمثال هيرودس ويهوذا باراباس وغيرهم: "أشرار خالدون".



(١٣) خشبة الصليب المقدسة

(١٣)

خشبة الصليب المقدسة

(ونفائس أخرى)

احتفظ الرومان دائمًا في مخازنهم بأدوات الصلب بما فيها الخشب والمسامير والمطرقة وبعض الحبال والأسفنج وسائل المُـرّ مـع الأوتـاد والحراب وغيرها، وقد نفّذوا عمليات الصلب بأكثر من طريقة مـن جهـة التعليق، فأحيانا كانوا يربطون المحكوم عليه بالحبال فوق صـليب كامـل مطروح على الأرض، ومن ثَمَّ يرفعونه ليثبّتوه فـي حفـرة فـي الأرض ويجعلوه عموديًا عن طريق الأوتاد حول القائم من أسفل، وأحيانًـا يثبّتـون المصلوب بالمسامير قبل غرس الصليب في الأرض، وأحيانًا كانوا يُسمِّرون أو يربطون اليدين فقط على القائمة العرضية ومن ثَمَّ يثبّتونها فـوق قـائم رأسي جاهز.. وغيرها من الطرق، أما عن نوع الخشب المستخدم للصـلب فهناك ما يفيد في التقليد بأنه كان من خشب السنط نظرًا لصلابته، والبعض يرى أنه كان من خشب الزيتون المنتشر هناك..

بعد أيام من انزال المصلوبين الثلاثة من على صـلبانهم، وضـع رؤساء اليهود الخشبات الثلاث داخل القبر مع المسامير أيضا التي سُمِّر بها المخلِّص، وأمروا بعد قيامة المسيح بقليل بتكديس القمامة فوق القبر لإخفاء معالمه بسبب العجائب الكثيرة التي كانت تجرى هناك.

وعندما عثرت عليه الملكة هيلانة بعدما حضرت إلى أورشليم بعد فقدانها لابنها كريسبس، وقد قاربت الثمانين من عمرها، وبعد سؤال كثير وتعب شديد ومعاناة مع اليهود اعترف أحد شيوخهم، ويُدعى الحاخام يهوذا، بوجود المكان مشيرًا إليه حيث كان يعلوه تل من القمامة، وقد استطاعت تمييز صليب السيد من الصلبان الأخرى بأن وضعته على ميت فقام في الحال، ويقول المؤرخ روفينوس أن الميت الذي قام كان سيدة تدعى "لبانيا".

وكانت شعلات النار توقد من قمة جبل إلى أخرى حتى يصل الخبر السار إلى الملك هناك في روما بأنه قد ظهرت الخشبة المقدسة، فقد كان الاتفاق أن المكان الذي يُعثر فيه على الصليب يوقد شعلة فوق قمة الجبل حتى يطمئن الآخرون الذين يبحثون عنه، فما أن وجدوه حتى أضاءت المدينة كلها بشعلات من النار، وكان ذلك اليوم هو الرابع عشر من شهر سبتمبر (يوازي في التقويم الشرقي السابع والعشرون من سبتمبر) وهناك شُيِّدت "كنيسة القيامة" فوق القبر ووُضِع فيها صليب السيد، بل وأرسلت إلى البابا أثناسيوس الرسولي في مصر تطلب إليه الحضور لتدشين الكنيسة ففرح وجاء وقام بتدشينها في سنة ٣٢٨م. ويرد في التقليد أن رهبانًا من بلاد عديدة ما بين مصر وسوريا وبلاد ما بين النهرين قد حضروا التدشين كما حضره حوالي خمسون أسقفًا. وعُرفت باسم: "كنيسة القيامة"، ويسميها سكان القدس بـ "كنيسة القبر المقدس"، وقد أُقيم احتفال تدشينها على يومين متتاليين. وبسبب استخدام النار في الاعلان عن اكتشاف الخشبة المقدسة، أصبح وجود النار وربما الألعاب

النارية في الاحتفالات التي كانت تجري بهذه المناسبة في الأعــوام التاليــة تقليدًا متبعًا..

وقد ذكر القديس يوستينوس حجم الصليب، كما ذكر أنه يتكون من قائم ارتفاعه أربعة أمتار وثمانين سنتيمترًا، وعارضة يتراوح طولها بين (٢,٣م – ٢,٦م)، وقد فُحص خشب الصليب الحقيقي فأثبتت الأبحاث أنه صنع من خشب الأشجار القلفونية، ويُقال أن ما يوجد حاليًا من خشبة الصليب يعادل ١٨ مليون ملليمتر مكعب فقط (موقع التاريخ).

توزيع أجزاء من الخشبة المقدسة :

أشار مار أغناطيوس يعقوب الثالث (بطريرك السريان الأرثوذكس الأسبق) إلى أن الملكة هيلانة قد تركت جزءًا من الصليب في أورشليم بينما أرسلت الباقي إلى القسطنطينية، أمّا الملك قسطنطين فقد أمر بتوزيع أجزاء من خشبة الصليب على كافة كنائس العالم، وقد حصلت روما بطبيعة الحال على قطعة كبيرة منه، بينما وُضع الجزء المتبقي في كنيسة القســطنطينية، ويذكر كذلك القديس كيرلس الأورشليمي أن أساقفة اورشليم كانوا يوزّعون منه قطعًا على كبار الزائرين كبركة، حتى انتشرت أجزاؤه في العالم كلــه خلال وقت قصير، ولكن تقليدًا يقول أن خشبة الصليب كانت تنمو من تلقاء ذاتها مهما أُخذ منها، وذلك بسبب البركة التي نالتها من صلب الرب عليها.

استيلاء الفرس على خشبة الصليب:

وذلك في أيام "كسرى الثاني" ملك الفرس (٥٩٠-٦٢٨م.) حين استولى على أورشليم سنة ٦١٤م، فهدم الكنيسة ومن ثَمَّ نقل الخشبة المقدسة

معه إلى فارس في مايو ٦١٤م. ويقول الفرس أنفسهم أن رجال الملك دفنوا الصليب في حفرة في بستان قصر الملك، وحتى يبقى المكان سرًا لا يعرفه أحد فقد قتلوا الشماسيْن اللذين أمرهما الملك بحمل الصليب إلى البستان، ولكن أراد الله "المصلوب عنا" أن تعاين فتاة صغيرة ابنة كاهن ما حدث، وكانت قد سُبيت وأقامها الملك في قصره.

إعادة الخشبة المقدسة:

كانت الإمبراطورية الرومانية قد أصابها بعض الضعف، غير أنها استعادت قوتها ومكانتها في عهد الإمبراطور هرقل (٦١٠-٦٤١م) ومن ثم قام باسترداد ما سبق الفرس واستولوا عليه، ومن بينها خشبة الصليب، حيث أشارت الفتاة المذكورة إلى مكان دفنه، حيث ظل مدفونًا أربع عشرة سنة، وبذلك فقد أُعيدت الخشبة في سنة ٦٢٩م باحتفال مهيب.

ورغب الامبراطور هرقل في أن يعيد ذلك الأثر النفيس بنفسه إلى كنيسة القيامة فاستقبلته المدينة كلها بالمصابيح والتراتيل، فلبس حلته الملوكية والوشاح الإمبراطوري والتاج الذهبي، وسار حاملاً الصليب على كتفه، غير أنه ثقل عليه عند الباب فلم يستطع الدخول به، وهنا أشار عليه بعض الكهنة بالتخلي عن الوشاح والتاج مثلما تخلى عنهما سيده عند الصليب، فأطاع ودخل حافيًا مرتديًا ثيابًا بسيطة، ومن ثم وجد الصليب سهلاً خفيفًا (وهكذا الصليب خفيفٌ بالفعل وسهلٌ لكل من يحمله باتضاع)، وحُسب ذلك اليوم عيدًا إضافيًا للصليب، وكان ذلك في عهد الأنبا زكريا أسقف أورشليم..

ويروى المؤرخون أنه بعد وفاة هرقل واحتلال العرب المسلمين أورشليم تعرضت كنيسة القيامة للحريق الجزئي, فقرر المسيحيون - تجزئه خشبه الصليب حتى لا تُفقد إذا ما تعرّضت لحادث مماثل مرة أخرى، وتكون فى عده أماكن بدلاً من مكان واحد؛ فقسّموه إلى تسعة عشر قطعة صنعوا منها صلباناً، وكان للإسكندرية نصيب فى قطعة واحدة ولم يُذكر هل أخذها الأقباط أم الملكانيون ويُعتقد أنها ذهت للأقباط. (نقلاً عن موقع تاريخ الكنيسة).

نقله إلى القسطنطينية:

نُقلت الخشبة المقدسة بعد ذلك في سنة ٦٧٠م إلى كاتدرائية "أجيا صوفيا" والتي تحولت فيما بعد إلى مسجد في عهد الملك محمد الثاني (١٤٢٩-١٤٨١م). وعند نقل الصليب كانت الامبراطورية كلها في انتظار وصوله إليها بشغف شديد.

قطعة من الخشبة يستولي عليها المسلمون:

فى سنة ٥٩٠ هجرية بعث الملك الأفضل ابن صلاح الدين الأيوبي بهدايا إلى الخليفة العباسي الناصر، وكانت من هذه الهدايا قطعة من صليب الصلبوت أعطاها للخليفة المسلم حتى يسمح له بأن يكون ملكاً بعد أبيه، طبقاً لما ذكره ابن كثير[1] المؤرخ المسلم فى كتابه "البداية والنهاية" عن هذه

---

[1] الحافظ ابن كثير الدمشقي، المتوفي سنة ٧٧٤، الجزء ١٣، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م - الناشر مكتبة المعارف بيروت - دار ابن حزم بيروت ص ٨.

الهدايا قال: "من ذلك سلاح أبيه وحصانه الذى كان يحضر عليه الغزوات، ومنها صليب الصلبوت الذى استلبه أبوه من الفرنج يوم حطين، وفيه من الذهب ما ينيف عشرين رطلاً مرصعًا بالجواهر النفيسة، وأربع جواري من بنات الفرنج".

حرب الأيقونات واختفاء بعض أجزاء من خشبة الصليب:

استمرت حرب الأيقونات قرنًا كاملاً من الزمان، وذلك في القرن الثامن الميلادي، في أيام الملك فيليب بارادان (٧١١-٧١٣م) والذي أمر بإزالة الرسوم من كنيسة أجيا صوفيا، وفي أثناء ذلك اختفت خشبة الصليب.

وفي سنة ١٤٠٠م اُكتُشفت قطعتان ضمن قطع الصليب وذلك في احدى الكنائس في منطقة فرنسا الآن، حيث أُخذت منها قطعة أُهديت إلى قداسة البابا شنوده الثالث في المقر البابوي، كما أهديت قطعة مماثلة "لإيبارشية دمياط وكفر الشيخ والبراري" وذلك في مبادلة مع ثلاث أيقونات من أحد الكهنة في سنة ١٩٧٥م، وذلك بيد الأنبا مرقس القبطي مطران فرنسا المتنيح.

ويروى المتنيح الأنبا مرقس القبطي بفرنسا قصة هذه القطعة الثمينة فيقول:

نقل هذه القطعة الكابتن البحار "ملخيو تر ينزان" إلى فينسيا، حيث كانت هناك كوديعة لدى عائلة نبيلة سلمتها له في ١٥١٣/٤/٢٩م، وبقيت

في حوزة البطريرك "أنطوان بوننتا روفي" بطريك فينسيا، ثـم آلــت إلــى الكاردينال "جاك موينكو" بطريرك فينسـيا فــي ١٨٣٨/٦/٣م، ثـم إلــى البطريرك "جان بيتر" في فينسيا أيضًا، إلى أن وُجدت فــي ١٩١٢/٤/٢٠م في حوزة البطريرك بيرونتوني أسقف جيـراس والــذي أعطاهــا بــدوره للبطريرك الأسباني "جوزيف ماري جارسيا لا جريرا" أسقف فــالنس فــي أسبانيا.

يقول الأنبا مرقس: ونظرًا للروابط التي تجمع بيننا فقد أهداني إياها في ١٩٧٠/١٠/١٧، ومن ثم أهديتها بدوري إلى إيبارشية دمياط..

آثار اخرى نفيسة تتعلق بصلب السيد المسيح

استطاع القياصرة المسيحيون، ومعهم بعض من الأراخنة المسيحيين المحبين، جمع كل ما يتعلق بصلب المخلص من أدوات، وتُعتبر أغلى كنوز العالم، حيث تقدّست بملامسة الرب لها، وقد تم اقتناء هذه الكنوز إمّا عن طريق العلاقات الشخصية أو الشراء بالمال أو التبادل مع أشياء اخرى أو باستخدام السلطة الزمنية وغيرها من الطرق، ولم يتم كل ذلك في وقت واحد وإنما على مدار سنوات طويلة ومع تغيّر الظروف السياسية، مثل الحصول على درجات سلم بيلاطس البنطي، لم يتم الحصول عليها إلا بعد عشرات السنين وهكذا. وقد توزعت هذه الكنوز على أماكن كثيرة جدًا من العالم للبركة أولاً، ثم لضمان عدم فقدانها متى تُركت في مكان واحد، ونورد هنا بعضًا من هذه النفائس مع تتبّع رحلتها عبر أماكن كثيرة من العالم.

اللافتة التي فوق الصليب:

أرسلت الملكة هيلانة الى القسطنطينية جزءًا كبيرًا من الخشبة المقدسة مع إكليل الشوك والمسامير والحربة، كما أرسلت معها أيضًا "اللافتة" التي كانت فوق صليب المخلّص، وبعد حوالي قرن الزمان قام الإمبراطور فالنتينيوس الثالث إبن قنسطنس قيصر بتزيين المكان الذى وُضعت فيه، وهو كنيسة الصليب المقدس، بالموزاييك ووضع اللافتة في المكان العلوي من الكنيسة، وبمرور الزمن نسى الناس مكانها ولم يلحظه

أحد، وفى سنة ١٤٩٢م. أراد أحد الكرادلة ترميم تلـــك الكنيســـة فاكتشـــف العمال هذا الكنز النفيس الذى يعتبر من الذخائر المقدسة الهامة، فعم الفـــرح الشعب المسيحي فى العالم كله، وتوافدت الجموع لرؤيته لمده ثلاث أيـــام. وقد عُثر على الصندوق وبداخله اللافتة.

أمّا الصندوق فهو عبارة عن قالب من الطوب محفور فيه بحروف قديمة إرتفاعها ٥٠ مـــم *Titilis Crucis* أي "عنـــوان الصـــليب " باللغـــة اللاتينية، ثمّ اللافتة نفسها "عنوان الصليب" وقد عُثر على جزء منهـــا فـــي زمن لاحق في روما، وبه ثلاثة سطور:

السطر الأول: به الجزء الأسفل من الحروف العبرية ولم يُتمكّن من قرائتها
السطر الثاني: *Nazarenots* (أي الناصري)
السطر الثالث : *Nazarinesre* (اي الناصري).

وفى سنه ١١٠٠م. ورد كتاب إلى الكونت "روبيـــر" حـــاكم إقلـــيم "فلاندر" بفرنسا, بأنه توجد آثار عظيمة كثيرة محفوظة فـــي القســـطنطينية, وفيما يلي حصر للآثار التى تحدث عنها:

١- العمود الذى ربط عليه المسيح كلمه الله.
٢- السوط الذى جُلد به.
٣- الثوب القرمزى الذى ألبسوه إياه.

٤- إكليل الشوك فى كنيسة *Notre-Dame de Paris*[(١)].

٥- القصبة التى أعطوها له كصولجان.

٦- الملابس التى تعرّى منها.

٧- المسامير التى اُستُعملت فى صلبه.

٨- جزء كبير من صليبه.

٩- اللفائف التى وجدت فى قبره.

وفى سنة ١٢٢٨م اقترض إمبراطور القسطنطينية بودوان الثاني من البندقية مبلغاً كبيرًا من المال، ولم يستطع أن يوفي الدين الذى عليه، فتوجّه إلى ملك فرنسا للاستعانة به فدفع قيمة القرض إلا أنه أخذ الآثار السابقة (المرهونة) وأصبحت ملكًا له بعد أن كانت هذه الآثار رهينة عند مقرضيه.

وبعد بضع سنوات أخرى شيّد لويس ملك فرنسا كنيسة كبيرة مكان كنيسة القصرالقديمة بعد ان تسلم قطعة كبيرة من خشب الصليب الحقيقي, وكان قد بدأ فى بناء الكنيسة سنة ١٢٤١م وانتهى سنه ١٢٤٨م، وفى نفس الوقت تم فى بيزا *Pisa* تكريس مقصورة لجزء آخر من إكليل الشوك.

وتُعد كنيسة القديسة العذراء فى مدينه بيزا إحدى عجائب الفن المعمارى مثلها مثل كنيسه باريس، ففى هاتين الكنيستين كانوا يحتفظون بجزء من

---

(١) راجع الموقع التالي: http://notredamedeparis.fr/Veneration-de-la-Couronne-d-epines.

إكليل الشوك بالصندوق الموجود بكاتدرائية "نوتردام دى باري" الذى أغنى به ملك فرنسا لويس كنيسة فرنسا، ومكتوب على الصندوق الآتى:-

الواجهة الأولى من الصندوق:

الإكليل المقدس لربنا يسوع المسيح، الذي فاز به بودوان عند الاستيلاء على القسطنطينية فى سنه ١٢٠٤م، والذى ارتهن لدى البندقيين فى سنه ١٢٢٨م. وتسلمه بخشوع عظيم الملك لويس فى مدينه فيلنوف *Villeneuve* بالقرب من "سانس" فى يوم ١٠ أغسطس١٢٣٩م.

وعلى الواجهة الثانية من الصندوق :

تم نقلها من كنيسة "لا سانت شابيل" *La sainte-chapelle* إلى دير "سان دنيس" *Saint-Denis* بفرنسا بأمر الملك لويس السادس عشر في سنة ١٧٩١م. وأُعيدت إلى باريس سنه ١٧٩٣م. ورُفع عنها غطاؤها فى بيت صك النقود وحُملت إلى المكتبة الأهلية فى سنة ١٧٩٤م. وأخيرا أُعيدت إلى كنيسة "نوتردام دى باري" بأمر الحكومة فى ٢٦ من أكتوبر سنة ١٨٠٤م.

وعلى الواجهة الثالثة من الصندوق:

تم التعرّف عليها في ٥ أكتوبر سنه ١٨٠٥م بمعرفة ب٠ دينزيه، وش٠ن٠واران فلوت *P.Dienze et Ch. N.*

اللذين كُلِّفا بأن يأخذا في سنة *Warin-Flot, Constanees* ١٧٩١م جزءًا منها إلى بورويال وتم نقلها علنًا إلى كنيسة نوتردام بواسطة الكاردينال ج٠دى٠بلوا *J.B.De Belloy* رئيس أساقفة باريس فى ١٠ أغسطس سنة ١٨٠٦م. وهى موضوعة داخل حلقة من البللور مبطنة بالبرونز المذهب وخيوط حرير حمراء، ويتكون الإكليل نفسه من فروع الخيزران رفيعة ومتجمعة فى حزم، قطرالحلقة الداخلى ٢١١٠مم وقطر قطاع الإكليل ١٥مم، والفروع متجمعه بواسطه ١٥ و١٦ رباطًا متشابهة، ويصل سلك من الذهب بين الأربطة لكى يقوي هذه الآثار المقدسة٠

وعند فحص السطح بواسطة عدسة مكبرة وجد أن به أقسامًا من عُقَل صغيرة، وأن الإكليل المقدس بباريس ليس قوامه الشوك، ولكنه طوق من خيزران، موطنه البلاد الحارة، وأن هذا الطوق كبير جدًا لا يصلح بأى حال للوضع على رأس مخلصنا المسيح. وهو لم يستخدم إلا كركيزه يضاف إليها ويوضع فوقه إكليل آخر مملوءٌ بالأشواك بحيث يُغطى الرأس كله بهذا الطوق، أما الأشواك فكانت من نبات العوسج، لأن المؤلّف يقول: "إننى تأثرت جدًا لقراءة الآية الرابعة عشرة من الإصحاح التاسع من سفر القضاة التى تقول: "ثُمَّ قَالَتْ جَمِيعُ الأَشْجَارِ لِلْعَوْسَجِ: تَعَالَ أَنْتَ وَامْلِكْ عَلَيْنَا".

وعلى القارئ أن يتخيل هذا النبات ذا الأشواك ينغرس فى رأس مخلصنا الصالح يسوع المسيح فيتخضب بدمائه، فأصبح نبات العوسج رمزًا

للمجد الإلهي وملكية المسيح التى سجّل بعضها بدمائه على هذا النبات الذى يوجد فروع صغيرة منه، وأشواك منفردة أو متصلة محفوظة فى ١٠٣ مدينة مختلفة أهمها الموجوده فى بيزا وتريف وبروج *Pisa, Treves, and Bruges* وقد ثبت بأقوال المؤرخين أن القديسة هيلانة هي التي أرسلتها هناك٠

المسامير المقدسة:

لا يوجد أدنى شك في أن المسامير كانت كبيرة جدا بحيث أنها تركت فراغا ملحوظا فى جسد المسيح له المجد, والدليل على ذلك أن مخلصنا الصالح يسوع المسيح دعا توما الرسول الشكاك, لأن يضع إصبعه فى المكان الذى أحدثته المسامير فى يديه وجنبه, وحينما أرادوا إنزال جسده من على الصّليب إضطروا لنزع المسامير أولا من خشبه الصليب, لأن المسامير كانت رؤوسها كبيره جدا ولا يمكن ان تعبر من خلال جسده٠

واليوم ما زال أحد المسامير الحقيقية التى إستعملها الرومان فى الصلب محفوظ فى كنيسه الصليب فى روما, وهو ليس مدببا وحاداُ، لأنه قد بُرد ووضعت هذه البرادة فى سبيكة من المسامير الأخرى تم صنعها بنفس الطريقة التى صنعت بها مسامير الصلب الأصلية, وبهذه الطريقة تم إكثار عدد هذه المسامير, ويحتفظ شارل بوريه الكاهن بعدد من المسامير المصنوعة من المسمار المحفوظ فى ميلانو, و"بروريه" يهوى جمع الآثار وقد أعطى واحدا منها للملك فيليب الثانى كأثر ثمين.

اما المسامير الحقيقية التى وجدتها الملكة هيلانة, فقد قيل أنها كانت تبحر فى البحر الإدرياتيكي, فألقت بإحدى المسامير فى البحر عندما هبت رياح عاصفة وأوشكت السفينة على الغرق فهدأ البحر فى الحال, ويقال أن الملك قنسطنطين الكبير كان يضع أحد المسامير فى التاج الثمين الذى كان يلبسه فى المناسبات, لحمايته, وتمتلك باريس قطعتين من أجزاء هذه المسامير, أحداهما كانت من ضمن كنوز دير "سان دنيس" والاخرى في دير"سان جرمان دى بريه".

وعندما تسلم رئيس أساقفة باريس المونسنيور "دى كيلان" المسمار الأول لاحظ قطعة من الخشب متصلة به وعند فحص هذا الخشب اتضح أنه من نفس طبيعة القطعة الكبيرة من خشب الصليب الحقيقي الموجودة في كاتدرائية نوتردام دي بارى, ويؤكد المؤرخون وجود جزء من المسمار الحقيقى داخل الطوق الحديدي فى مدينة " مونزا" وكذلك مسمار بمدينة "تريف" اكتشفتها الملكة هيلانة مع الصليب المقدس وأرسلتها إلى الملك قسطنطين الذى فرح بها وثبت إحداهم فى الخوذة الملكية.

والثلاث المسامير متوزعة كالآتي:

- مسمار فى كنيسة الصليب بروما.
- مسمار فى دير سان دنيس.
- المسمار الثالث فى دير سان جيرمان بفرنسا.

ملابس المسيح:

تم العثور عليها مع درجات سلم قصر بيلاطس الذى صعد عليـه المسيح. والقصبة التى أعطيت للمسيح على صولجان والأسفنجة المقدسـة والحربة والعامود الذى ربط عليه لجلده وعصابة الرأس (التى للعـين فـى بيت قيافا) وحجر التحنيط الذى إستخدمه يوسف الرامي فى تحنـيط جسـد الرب يسوع المسيح موجود فى كنيسة القيامة.

درجات سلّم قصر بيلاطس

فى سنة ٣٢٦م نقلت القديسة هيلانة الملكة درجـات سـلّم قصـر بيلاطس إلى روما، ووضعتها في كنيسة (سان جان دى لاتران).

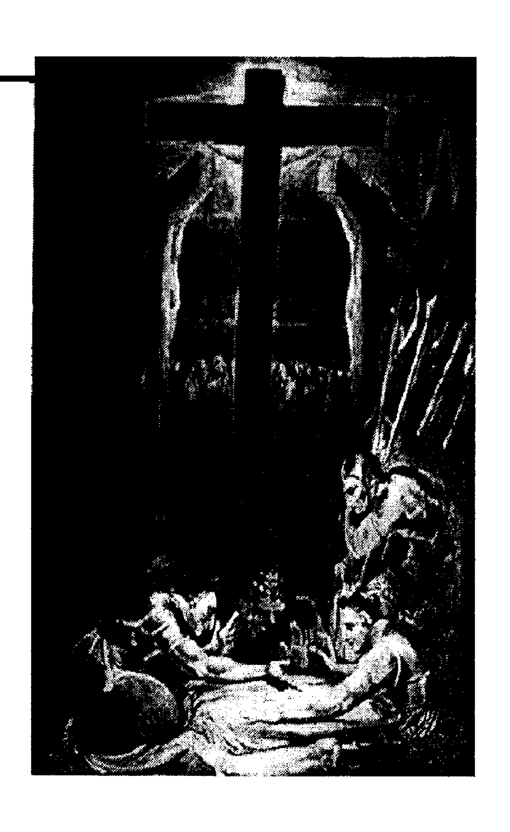
وفى سنة ٨٥٠ م اتُبعت عادة الصعود على هذا السلّم ركوعًا، ولم يكن مسموحًا بالصعود على هذه الدرجات إلاّ فى حالة ركوع على الركب، حتّى تآكلت الدرجات من كثرة الاستعمال ممّا استلزم تغطيتها ببطانـة مـن خشب الجوز وقد فُتحت البطانة من الأمام بحيث يمكن رؤية الأثر.

ويتكون السلّم من ٢٨ درجة من الرخام الأبيض، فيها عروق يميل لونها إلى الرمادى فى الاتجاه الطولي، وطول كلّ درجة من الثمانية درجات الأولى ٣,٥ مترًا بينما يبلغ طول كل درجة من الدرجات الباقية ٢,٥ مترًا. (مجلة الكرازة عدد ١٥ اغسطس ١٩٧٥م. – المـؤرخ الاسـتاذ يوسـف حبيب).

الحجر الذى دحرج من على باب القبر:

الزائر لكنيسة القيامة يرى أن القبر المقدس مستطيل الشكل له باب صغير من جهة الشرق تعلوه مجموعة من القناديل والأيقونات الخاصة بالقيامة ويري قطعة من الحجر الذي وضع علي باب القبر وهذا الحجر مغلف بالرخام عدا سطحه العلوي. فقد ترك مكشوفا حتي عام ١٩٤٤م. وفي وقت لاحق غطي بالزجاج, والكنيسة القبطية الأرثوذكسية لها قنديل كبير من الفضة تهتم بإنارته يوميا إلي اليمين واليسار.

ومن هنا ندرك أن الأشياء العادية تتقّدس بمن يستعملونها أو يحملونها، فكم بالأحرى عندما يكسو جسد المسيح ثوب، أو ينغرس في جسده مسمار، أو يطوق رأسه المقدس إكليل من الشوك، أو يسمر الجسد كله فليتصق بخشبة الصليب لثلاث ساعات كاملة ويتخضب بالدم المقدس.. كم تستحق منا من اكرام وكم هي ثمينة..



(١٤) قميص السيد المسيح

(١٤)

قميص السيد المسيح

فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «لاَ نَشُقُّهُ،
بَلْ نَقْتَرِعُ عَلَيْهِ لِمَنْ يَكُونُ»
(يوحنا ١٩:٢٣،٢٤)

كانت متعلقات المحكوم عليه بالصلب، تقع عادة من نصيب الجنود المكلفين بتنفيذ حكم الإعدام (كتيبة الإعدام)، في المقابل كان المحكوم عليه يُجرَّد من ملابسه تمامًا حيث يُقاد عريانًا إلى مكان الصلب، ولكن ذلك لم يُنفَّذ مع المسيح لأنه يهودي، والتقليد اليهودي يرفض مثل هذا الإجراء ويقضي بستر عورة المحكوم عليه بالموت.

وتتكوّن ثياب الرجل اليهودي في العادة من خمس قطع، هي: (القميص – الرداء – العمامة – المنطقة – الحذاء). وكان الرداء يُسمّى في العبرية "طاليث" (أو: لابوس) بينما يُسمّى القميص "الكيتونيت" ويصنع غالبًا من الكتان.

فإذا فتشنا في أعماق الجنود منفّذي الحكم، علمنا أن مثل تلك المهام كانت كريهة بالنسبة لهم، يُضاف إليها كرههم كوثنيين لليهود قاطبة، وفوق هذا وذاك فإن المحكوم عليه هنا هو شخص يهودي قام اليهود بتسليمه بأنفسهم لحكم الموت.

وربما ظن الجنود أيضًا أن حالةِ الإعدام هذه مثلها مثل جميع الحالات التي يُضطرون معها إلى الحراسة يومين أو ثلاثة حتى يلفظ المصلوب أنفاسة الأخيرة، فقد كانت عقوبة الصلب سواء عند الفرس الذين ابتكروها منذ زمن بعيد أو الحكومات التي أخذتها عنهم مثل الرومان تقضي ببقاء الجسد معلقًا نهبًا للطيور والجوارح نهارًا ووحوش الأرض ليلاً.. ومن هنا فإن رصفة في العهد القديم أقامت كوخًا مقابل الصلبان السبعة التي عُلِّق عليها سبعة رجال من نسل شاول وكان ابناها من بينهم، وذلك لتدفع عنهم الوحوش والجوارح، وقد راقبت بآلام نفسية يصعب وصفها، المصلوبين وهم يلفظون أنفاسهم أولاً، ثم وهم يتحللون جسديًا فوق صلبانهم، وذلك منذ شهر أبريل وحتى موسم نزول المطر (ليس قبل شهر سبتمبر)!! هكذا يرد في الكتاب المقدس: "وَسَلَّمَهُمْ إِلَى يَدِ الْجِبْعُونِيِّينَ، فَصَلَبُوهُمْ عَلَى الْجَبَلِ أَمَامَ الرَّبِّ. فَسَقَطَ السَّبْعَةُ مَعًا وَقُتِلُوا فِي أَيَّامِ الْحَصَادِ، فِي أَوَّلِهَا فِي ابْتِدَاءِ حَصَادِ الشَّعِيرِ. فَأَخَذَتْ رِصْفَةُ ابْنَةُ أَيَّةَ مِسْحًا وَفَرَشَتْهُ لِنَفْسِهَا عَلَى الصَّخْرِ مِنِ ابْتِدَاءِ الْحَصَادِ حَتَّى انْصَبَّ الْمَاءُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَمْ تَدَعْ طُيُورَ السَّمَاءِ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ نَهَارًا، وَلاَ حَيَوَانَاتِ الْحَقْلِ لَيْلاً. فَأُخْبِرَ دَاوُدُ بِمَا فَعَلَتْ رِصْفَةُ ابْنَةُ أَيَّةَ سُرِّيَّةُ شَاوُلَ." (صموئيل الثاني ٢١:٩-١١)[١]

ومن هنا راح الجنود يسلّون أنفسهم لقتل وقت الفراغ، فإنهم ولكثرة ما قاموا بتنفيذ عمليات الصلب لم يعودوا يأبهون كثيرًا لآلام المصلوب

---

[١] راجع مقالنا عن الجلجثة في هذا الكتاب.

الرهيبة والتي لا تماثلها أو تقاربها سوى آلام "القتل على الخازوق" وهي طريقة في الغالب من ابتكار الفرس أيضًا، ثمّ انتقلت إلى شعوب اخرى مثل العرب ولمدة طويلة. يقول القديس يوحنا: "ثُمَّ إِنَّ الْعَسْكَرَ لَمَّا كَانُوا قَدْ صَلَبُوا يَسُوعَ، أَخَذُوا ثِيَابَهُ وَجَعَلُوهَا أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ، لِكُلِّ عَسْكَرِيٍّ قِسْمًا. وَأَخَذُوا الْقَمِيصَ أَيْضًا. وَكَانَ الْقَمِيصُ بِغَيْرِ خِيَاطَةٍ، مَنْسُوجًا كُلُّهُ مِنْ فَوْقُ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:«لاَ نَشُقُّهُ، بَلْ نَقْتَرِعُ عَلَيْهِ لِمَنْ يَكُونُ». لِيَتِمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ:«اقْتَسَمُوا ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي أَلْقَوْا قُرْعَةً». هذَا فَعَلَهُ الْعَسْكَرُ." (يوحنا ١٩:٢٣،٢٤)

كانت قطع الثياب (أو الممتلكات) خمسًا، بينما كان عدد الجنود أربعة، ويمكننا أن نفهم من تعبير اقتسموا ثيابه بينهم أحد أمرين، إمّا القطع الأربعة التي ذكرناها، وإمّا تقسيم الرداء من خلال الخياطة، في حين أن القميص ذاته لن ينفع معه التقسيم والاّ فإنه سيتمزّق ويتلف. من هنا أصبح القميص موضوع نزاع "ساذج" بين الجنود المتطفّلين (والذين يغلب الظن أنهم ليسوا من الرومان جنسًا بل من المجندين الوثنيين في المنطقة لحساب روما)، ولذلك فقد ألقوا قرعة لمعرفة من يفوز به. لقد كان سلوكًا مؤسفًا أمام شخص ينازع الموت أمامهم، وعلى مقربة منهم أيضًا نساء يبكين ويولولن، وكذلك تلميذ مكسور الخاطر هو يوحنا الحبيب. لقد رأى ارميا النبي ذلك بعين النبوة فقال: "أَمَا إِلَيْكُمْ يَا جَمِيعَ عَابِرِي الطَّرِيقِ؟ تَطَلَّعُوا وَانْظُرُوا إِنْ كَانَ حُزْنٌ مِثْلُ حُزْنِي" (مراثي ١:١٢)

التقليد الخاص بهذا القميص:

يؤكد التقليد أن هذا القميص نسجته مريم لابنها مرة واحدة من الكتان النقي، وذلك في بداية خدمته، وقد كانت هذه عادة النساء في اليهودية مع أولادهن عندما يبدأون حياتهم العملية، وهناك تقليد آخر يفيد بأنها صنعته له وهو حديث السن، غير أن القميص لم يبلَ مثلما حدث مع بني اسرائيل في البرية "ثِيَابُكَ لَمْ تَبْلَ عَلَيْكَ، وَرِجْلُكَ لَمْ تَتَوَرَّمْ هذِهِ الأَرْبَعِينَ سَنَةً." (تثنية ٨: ٤).

ونحن نتساءل كيف كانت مشاعرهم وهم يفعلون ذلك حتى بالقميص ولم يكتفوا بما صنعوه بجسده ونفسه! إن ذلك كان يمثّل بعض أسباب آلام المسيح النفسية وهو على الصليب، فهم يقامرون (بالقرعة) وهو يموت لأجلهم وهم لا يدرون. رسم أحد الرسامين القدامى لوحة تمثل السيد المسيح مرفوعًا على الصليب، ولا يلتفت إليه أحد، وكأن الأمر لا يعني أحدًا!، "قَدْ دُسْتُ الْمِعْصَرَةَ وَحْدِي، وَمِنَ الشُّعُوبِ لَمْ يَكُنْ مَعِي أَحَدٌ." (اشعياء ٦٣: ٣).

قميص رئيس الكهنة:

يؤكد يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير بأن مواصفات قميص رئيس الكهنة وهو قصير ومنسوج كله من الكتان النقي، هي نفس مواصفات القميص الذي كان يرتديه يسوع الناصري، والفرق بين رؤساء الكهنة ويسوع الناصري أنه هو رئيس الكهنة الحقيقي، والذي أُقيم كل رئيس كهنة في القديم على مثاله، هكذا يشرح القديس بولس في رسالته إلى العبرانيين:

"وَأَمَّا رَأْسُ الْكَلاَمِ فَهُوَ: أَنَّ لَنَا رَئِيسَ كَهَنَةٍ مِثْلَ هذَا ،قَدْ جَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ الْعَظَمَةِ فِي السَّمَاوَاتِ خَادِمًا لِلأَقْدَاسِ وَالْمَسْكَنِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي نَصَبَهُ الرَّبُّ لاَ إِنْسَانٌ. لأَنَّ كُلَّ رَئِيسِ كَهَنَةٍ يُقَامُ لِكَيْ يُقَدِّمَ قَرَابِينَ وَذَبَائِحَ. فَمِنْ ثَمَّ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ لِهذَا أَيْضًا شَيْءٌ يُقَدِّمُهُ".(عبرانيين ٨: ١-٣) انظر أيضًا (عبرانيين ٥: ١-١٠)، وقد قام السيد المسيح كرئيس كهنة بهذا العمل وقدم ذبيحة نفسه مرة واحدة. وإذا كانت كلمة "كاهن" في اللاتينية تعني "قنطرة" فقد صار المسيح الواسطة بين الله والناس.

ويقول بعض الشُرَّاح إن القميص يذكرنا بالقميص الذي صنعه الله لآدم، ثم سلمّه لموسى لأجل الخدمة، ويذكرنا كذلك بالقميص الملون الخاص بيوسف والذي نزعه عنه إخوته ولُطِّخ بالدم وبجواره اقترعوا على يوسف!..

أما آباء الكنيسة فقد رأوا في قميص يسوع:

التجسد الالهي من العذراء مريم، وذلك من جهة النقاوة، وكما أعطته العذراء جسدًا فقد أعطته القميص أيضًا والذي يرمز إلى الناسوت، وهو لم يتمزق في إشارة إلى دوام بتوليتها.

كما رأى القديس ايرينيئوس والعلامة أوريجانوس، والقديس أغسطينوس، ومار أفرام السرياني، وغيرهم من الآباء، صورة الكنيسة غير المنقسمة، فيقول القديس كبريانوس إنه منسوج من فوق لتحت، مثل الكنيسة

المقرّرة والمعانة من فوق، أي من الله ولا يمكن لإنسان أن يمزقها، وفي ذلك تمت نبوة داود النبي "يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ" (مزمور ٢٢: ١٨).

أين يوجد قميص يسوع الآن؟

يفيد التقليد الغربي بأن القميص موجود الآن في مدينة "ترير" الألمانية، حسبما يقول الكاثوليك بأنه كان مخبئًا، ولكنه بدأ عرضه منذ سنة ١٥١٣م وآخر مرة شوهد كان سنة ١٩٩٦م. حيث تمتع برؤيته أكثر من مليون زائر.. أما التقليد الشرقي فيفيد- بحسب كنيسة جورجيا- بأن شخصا يهوديًا من جورجيا قد اشتراه من القدس وقت صلب المسيح وأحضره الى هناك، حيث يوجد الآن في كاتدرائية "سيفي تيت شوفيليه" في موسكو، ويحتفلون به في العاشر من شهر يوليو من كل عام.

هكذا تألم المسيح ليشفينا وتعرى ليكسونا بثوب برّه..



(١٥) سمعـــان القـــيرواني

(١٥)

سمعان القيرواني

وَفِيمَا هُمْ خَارِجُونَ وَجَدُوا إِنْسَانًا قَيْرَوَانِيًّا اسْمُهُ سِمْعَانُ، فَسَخَّرُوهُ لِيَحْمِلَ صَلِيبَهُ.

(متى ٢٧:٣٢)

هو الشخص الذي نال شرف حمل الصليب قليلاً عن المسيح، وكان ذلك في الغالب بدءًا من بوابة المدينة وحتى الجلجثة حيث صُلب الرب "وَفِيمَا هُمْ خَارِجُونَ وَجَدُوا إِنْسَانًا قَيْرَوَانِيًّا اسْمُهُ سِمْعَانُ، فَسَخَّرُوهُ لِيَحْمِلَ صَلِيبَهُ." (متى ٢٧:٣٢).

واضح من اسمه أنه ليس من سكان اليهودية، ولكنه من القيروان (تونس الآن) ومن المؤكد أنه يعرف القديس مرقس، حيث تدور عدة أسئلة، هل هاجر معه هو وعائلته؟ أم جاء كحاجٍ (سائح) وسكن في كوخ في الحقل بسبب الزحام مثله مثل الكثيرين في هذا الموسم شديد الزحام حيث يصل عدد الحجاج أحيانا إلى ثلاثة ملايين، أم مجرد ساكن في أورشليم؟.

يذكره القديس مرقس بتفاصيل – على غير عادته – فيعرّفه على أنه أبو الإسكندر وروفس "فَسَخَّرُوا رَجُلاً مُجْتَازًا كَانَ آتِيًا مِنَ الْحَقْلِ، وَهُوَ سِمْعَانُ الْقَيْرَوَانِيُّ أَبُو أَلَكْسَنْدَرُسَ وَرُوفُسَ، لِيَحْمِلَ صَلِيبَهُ" (مرقس ١٥:٢١)،

فإذا كان من سكان اورشليم وقتئذ فيكون ذلك قبل مجيء السبت، وسخرّوه فعلاً ولم يحمله طواعية. ولم يكن هدف الجند الشفقة على يسوع، بل التعجيل بتنفيذ المهمة، ولكن لماذا سخرّوه؟ هل لأن شكله أسود.. أم هل وشى به البعض بأنه يتعاطف مع يسوع؟! أم ما أن رأوه حتى واتتهم الفكرة بتسخيره؟.

قانون السخرة :

عندما قال السيد المسيح في الموعظة على الجبل "مَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ" (متى ٥ : ٤١) .. كان يشير إلى قانون السخرة بشكل عام، وإلى تسخير الرومان لليهود وهم واقعين تحت الاحتلال، حيث كان من حق الجنود تسخير أي يهودي لحمل شيء أو القيام بمهمة ما، وعندما قال السيد ذلك قصد الاّ نتذمّر بل لنعمل ذلك بفرح. وقد علّق الآباء كثيرًا على ذلك؛ فمنهم من قال إن المسيح قصد أن الميل الأول ربما يؤكّد عبوديتنا السياسية بينما الميل الثاني الذي سنسيره طواعية يؤكد حريتنا الداخلية لأن العبودية الحقيقية هي الداخلية، "ان حرركم الابن فبالحقيقة تصيرون احرارا". هذا وقد وُصف العهد الجديد بأنه "إنجيل الميل الثاني".

ولكن ما الذي كان يحمله المسيح لحظتئذ وقد أعيى؟. هل العارضة الخشبية فقط أم الصليب بكامله، إن العادة الجارية في ذلك الوقت كانت أن يحمل المحكوم عليه العارضة فقط كجزء من العقوبة حيث تربط في يديه المبسوطتين عليها بالحبال، بينما يبقى القائم في مكان التنفيذ.

هناك قصة تقول إن سمعان القيرواني عاد مجهدًا، وسأله ولداه عن سبب اعيائه، وانزعجا عندما علما أنه حمل صليبًا، ولكنه أخبرهم بأنه صليب يسوع الناصري، وكان يمكنه الإفلات من ذلك بطريقة ما ولكن منظر المسيح استدرَّ شفقته. في الليل جاءه يسوع في حلم في بهاء يفوق بهاء الشمس، وطوّبه بأنه بارٌّ وأن الصليب الذي حمله سيتحول إلى مجد خالد، فقام تغمره سعادة لم يعرف لها مثيل.

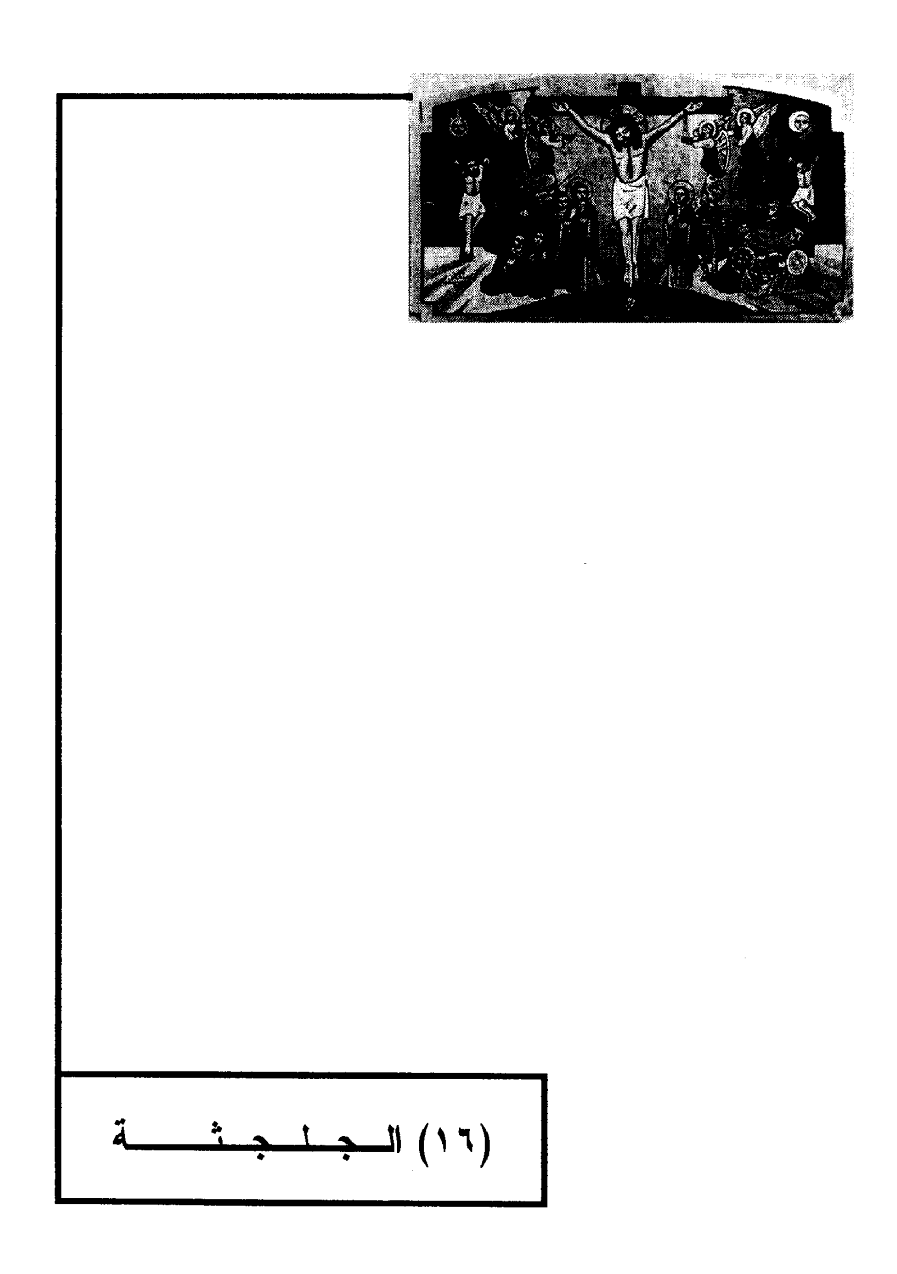
هذا وقد أشاع البعض أنه صلب مكان السيد المسيح وذلك حسبما أورد "تاتيان" مثلما ادّعى البعض الآخر أن يهوذا الاسخريوطي صُلب بدلاً من السيد!!.

الأخبار اللاحقة عنه:

ذكر القديس مرقس لسمعان مع ولديه، يعكس ثقته بمعرفة قرّائه بهم، كما يدل على أن عائلة سمعان أصبحت معروفة في الوسط المسيحي الكرازي. كان الأكبر هو الإسكندر والأصغر هو روفس، وعندما كتب القديس بولس رسالته إلى رومية كان الكبير قد تُوفِّي إذ بعث معلمنا بولس بالتحية الى روفس "سَلِّمُوا عَلَى رُوفُسَ الْمُخْتَارِ فِي الرَّبِّ، وَعَلَى أُمِّهِ أُمِّي" (رومية ١٦: ١٣). فقد تحول سمعان القيرواني في أنطاكية إلى واحد من خمسة قادة في الكنيسة "وَكَانَ فِي أَنْطَاكِيَةَ فِي الْكَنِيسَةِ هُنَاكَ أَنْبِيَاءُ وَمُعَلِّمُونَ: بَرْنَابَا، وَسِمْعَانُ الَّذِي يُدْعَى نِيجَرَ، وَلُوكِيُوسُ الْقَيْرَوَانِيُّ، وَمَنَايِنُ الَّذِي تَرَبَّى مَعَ هِيرُودُسَ رَئِيسِ الرُّبْعِ، وَشَاوُلُ" (أعمال الرسل ١٣: ١)

والذي يعنينا أكثر في هذه القصة أن هذا أعظم عمل قام به سمعان في حياته، ومثله في ذلك مثل أي انسان يحتمل التسخير من أجل المسيح ولكن بفرح ودون تذمر، مثل التعيير "طُوبَاكُمْ إِذَا أَبْغَضَكُمُ النَّاسُ، وَإِذَا أَفْرَزُوكُمْ وَعَيَّرُوكُمْ، وَأَخْرَجُوا اسْمَكُمْ كَشِرِّيرٍ مِنْ أَجْلِ ابْنِ الإِنْسَانِ" (لوقا ٦ : ٢٢)، وكذلك خدمة الآخرين بمن فيهم الذين يبدون مبتزّين أو مستغلّين، واحتمال الاهانة والتعيير من أجل المسيح ولكن بشرطين الأول أن يكون من أجل المسيح وثانيًا ان يكون كذبًا "طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ، مِنْ أَجْلِي، كَاذِبِينَ" (متى ٥: ١١). والإهانات المتعددة على مختلف الصعدة، فالبعض مضطَّهد فقط لأنه مسيحي بينما يحتمل هو ذلك بفرح حاسبًا عار المسيح أفضل من جميع الكنوز.

وكما تحوّل التسخير إلى بركة في حياة سمعان، هكذا يتحول الضيق الى بركة متى قبلناه، بل لقد أصبح الألم من اجل المسيح هبة في حد ذاته "لأَنَّهُ قَدْ وُهِبَ لَكُمْ لأَجْلِ الْمَسِيحِ لاَ أَنْ تُؤْمِنُوا بِهِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا أَنْ تَتَأَلَّمُوا لأَجْلِهِ" (فيلبي ١: ٢٩)، بل علينا أن نعتبر عار المسيح هو عارنا نحن لأنه حمله عنا، لقد حمل القيرواني قبسًا يسيرًا مما كان يجب على الإنسان تحمّله نتيجة العصيان. وفي المقابل هناك الملايين من البشر على مر العصور تمنوا أن يكونوا مكان سمعان يلمسون الصليب فقط، لقد تمنى العديد من الملوك عبر التاريخ أن تتحلّى تيجانهم بجزء من مسامير الصليب واحتفظت أعظم الكاتدرائيات في أغلى مقصوراتها بقطع صغيرة من خشب الصليب.



(١٦) الـجـلـجـثــة

(١٦)

الجلجثة

فَخَرَجَ وَهُوَ حَامِلٌ صَلِيبَهُ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ «مَوْضِعُ الْجُمْجُمَةِ» وَيُقَالُ لَهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ «جُلْجُثَةُ»

(يوحنا ١٩: ١٧)

وهو الموضع الذي صُلب فيه رب المجد مع اثنين من اللصوص، هما في الغالب رفيقي باراباس، وقد سُمي الموضع: "جمجمة" ويُقال أن سبب هذه التسمية أن كثيرًا من جماجم الذين صُلبوا هناك مدفونة في الموضع، وفي أيام العلّامة جيروم ساد الاعتقاد بأن هذا الموضع هو الذي كانت تنفذ فيه أحكام الاعدام، وقد وُصف بأنه "موضع خارج المدينة تقطع فيه رؤوس المحكوم عليهم"، كما رأى البعض أنه كان مكانًا مخصصًا للرجم، وأن فيه مغارة إرميا النبي، وربما جاءت التسمية بسبب أن كثيرين من اليهود كان موتاهم هناك، لا سيما وأن الاكتشافات الحديثة أظهرت الكثير من القبور هناك، كذلك يشبه تل الجلجثة في شكله العام منظر الجمجمة، ومن الطريف أن أعمال التنقيب هناك قد احدثت فتحتين كبيرتين في الموضع تشبهان تجويف العينين في الجمجمة..

هكذا دُعي الموضع:

في العربية	جمجمة
في العبرية	جلجثة (وتعني رأس)
في اليونانية	إقرانيون
في اللاتينية	كالفاري
في الأرامية	جل جوعة – "تل حجارة في جوعة" (ارميا ٣١:٣٩)

ومنذ القرن الرابع بدأ ينشأ تقليد "جبل الجلجثة" عندما أقيمت على الموضع "كنيسة القبر المقدس". ومن الطريف أن تقليدًا قبل المسيحية يفيد بأن جمجمة آدم وُجدت هناك أو دُفنت هناك، فيقول العلامة أوريجانوس أن التقليد في أيامه يفيد بوجود جمجمة آدم وقبره في كهف في تلك المنطقة، وعن هذا التقليد نقل القديس أثناسيوس والقديس إبيفانيوس والقديس باسيليوس الكبير والقديس يوحنا ذهبي الفم وغيرهم.. أما "العالم إيوالد" فقد وصفه بأنه "تل الغريب" المذكور في (ارميا ٣١:٣٩) كما سبق القول "جل جوعة"

موقع الجلجثة:

ليست هناك إشارة في العهد الجديد إلى مكان الجلجثة، سوى إشارة عابرة إلى أن الموضع كان قريبًا من أورشليم، مما أتاح لكثرين رؤية اللافتة

المعلقة فوق الرب المصلوب "فَقَرَأَ هذَا الْعُنْوَانَ كَثِيرُونَ مِــنَ الْيَهُــودِ، لأَنَّ الْمَكَانَ الَّذِي صُلِبَ فِيهِ يَسُوعُ كَانَ قَرِيبًا مِنَ الْمَدِينَةِ. وَكَانَ مَكْتُوبًا بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَالْيُونَانِيَّةِ وَاللاَّتِينِيَّةِ." (يوحنا ١٩:٢٠). ولكن التقليد يفيد بأن مكان الجلجثة هو ذلك التل الدائري المعشب البارز، فوق ما يُسمى بـــ "كهــف إرميـــا"، والذي يقع شمال شرق بوابة دمشق الحديثة (يُسمى الآن باب دمشق أو باب استفانوس) بجوار سور المدينة الغربي، على مسافة ٢٠٠ ياردة من ســور أغريباس.

وحتى سنة ٤٣م. ظل الموقع خارج السور الثاني لأورشيلم، وبعــد ثورة "باركوكبا" سنة ١٣٧م. طُرد كل اليهود وكذلك المسيحيون الذين مــن أصل يهودي من هناك، في حين كان يتــردد علـــى المكـــان المســيحيون الساكنون خارج فلسطين، وبالتالي فلم يكن من السهل فقدان المكان. ومع أن الامبراطور هادريان قام بدفن الموضع تحت المكان الــذي عــرف لاحقــًا بـــ"إيلياء كابتولينا"، كما قام الوثنيون بتدنيس المكان من خلال اقامة معبــد لأفروديت حسبما أورد المؤرخ يوسابيوس القيصري، إلّا أنه لـــم يختـــف، ولكنه، وبعد اكتشاف الصليب المقدس بواسطة الملكة هيلانة، انتقل مركـــز المدينة إلى القبر المقدس، بعد أن كان ذلك المركز هـــو الآكـــام والســـفوح الجنوبية التي كانت مكتظة بالسكان.

أمّا السبب الذي جعل العلّامة اوريجانوس يصرح بوجود جمجمـــة آدم هناك فهو ما ورد في رسالة القديس بولس الأولى إلى كورنثوس "لأَنَّـــهُ

كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ، هكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ" (كورنثوس الأولى ١٥:٢٢)، كما يشير إلى تقليد في أيامه يفيد بأن ثلاث نقاط من دم المسيح وقعت على جمجمة آدم المدفونة تحت الصليب فقام من الموت، ويربط بين ذلك وبين ما ورد في رسالة القديس بولس إلى أفسس «اسْتَيْقِظْ أَيُّهَا النَّائِمُ وَقُمْ مِنَ الأَمْوَاتِ فَيُضِيءَ لَكَ الْمَسِيحُ» (أفسس ٥:١٤)، ولكنه مجرد تفسير ضمن تفسيرات أوريجانوس الرمزية، فهذه الأية هي اقتباس للقديس بولس من ترنيمة كانت تقال للمعمدين الجدد احتفالاً بهم.

الجلجثة وذبح إسحق:

في سفر التكوين يرد أن إبراهيم رأى الموضع الذي سيقدم إسحق فيه "وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ رَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَأَبْصَرَ الْمَوْضِعَ مِنْ بَعِيدٍ" (تكوين ٢٢:٤) ولم يكن يعلم أين سيقدم ذبيحته، هكذا السيد المسيح مثل مصارع قوي لا يختار الخصم ولا المكان، بل حدد الساعة بنفسه وترك نفسه للآلام والموت ثم انتصر عليهم. وتفيد التقاليد أن جبل الموريا الذي وصل إليه أبونا إبراهيم ليقدم إسحق ذبيحته عليه هو الموضع الذي يوجد فيه الهيكل، وأن مذبح المحرقة في الهيكل هو بعينه المكان الذي بنى منه إبراهيم مذبحًا ليقدم عليه إسحق، وهو المكان الذي كان يخص أرنان اليبوسي "وَبَسَطَ الْمَلاَكُ يَدَهُ عَلَى أُورُشَلِيمَ لِيُهْلِكَهَا، فَنَدِمَ الرَّبُّ عَنِ الشَّرِّ، وَقَالَ لِلْمَلاَكِ الْمُهْلِكِ الشَّعْبَ: «كَفَى! الآنَ رُدَّ يَدَكَ». وَكَانَ مَلاَكُ الرَّبِّ عِنْدَ بَيْدَرِ أَرُونَةَ الْيَبُوسِيِّ... فَجَاءَ جَادُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ إِلَى دَاوُدَ وَقَالَ لَهُ: «اصْعَدْ وَأَقِمْ لِلرَّبِّ مَذْبَحًا فِي بَيْدَرِ أَرُونَةَ الْيَبُوسِيِّ». فَصَعِدَ دَاوُدُ حَسَبَ كَلاَمِ جَادَ كَمَا أَمَرَ

الرَّبُّ." (صموئيل الثاني ٢٤: ١٦-٢٥). وفي المكان ذاته بُني الهيكل "وَشَرَعَ سُلَيْمَانُ فِي بِنَاءِ بَيْتِ الرَّبِّ فِي أُورُشَلِيمَ، فِي جَبَلِ الْمُرِيَّا حَيْثُ تَرَاءَى لِدَاوُدَ أَبِيهِ، حَيْثُ هَيَّأَ دَاوُدُ مَكَانًا فِي بَيْدَرِ أُرْنَانَ الْيَبُوسِيِّ" (أخبار الأيام الثاني ٣: ١). وكما أوردنا فإن الجلجثة التي صُلب عليها الرب تقع بالقرب من الهيكل.

وفي تلك المنطقة تهلل أبونا إبراهيم وفرح بأنه رأى يوم الرب "أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ" (يوحنا ٨: ٥٦) وكما حمل إسحق حطب المحرقة حمل السيد المسيح صليبه، وكما افتدى الكبش إسحق هكذا افتدى المسيح - وهو الحمل الحقيقي - البشرية جمعاء، وكما عاد إسحق حيًا هكذا قام المسيح من الأموات، لذلك فإن إسحق من أكثر الشخصيات رمزًا إلى السيد المسيح، لا سيما في طاعته؛ فهو الابن الوحيد الحبيب والمسيح هو ابن الآب الحبيب والوحيد "مونوجينيس" (راجع قسمة خميس العهد).

الجلجثة ورصفة:

عندما طلب الجبعونيين مطلبهم الرهيب وهو صلب سبعة من نسل شاول مقابل إساءته لهم إبان حياته، كان اثنان منهم لرصفة بنت آية بن صبعون من أبناء سعير الحوري "وَكَانَتْ لِشَاوُلَ سُرِّيَّةٌ اسْمُهَا رِصْفَةُ بِنْتُ أَيَّةَ" (صموئيل الثاني ٣: ٧) وهي سرية شاول ولم تكن إذن عبرية بل أممية. اخذت رصفة مسحًا من الشعر وجلست عليه فوق جبل جبعة حيث الجثث

معلقة، وبنت لها كوخًا من الخوص لتراقب الجثث ليلاً ونهارًا وتزجر عنها الوحوش والجوارح، واستمرت هناك من شهر ابريل بداية الحصاد حتى أكتوبر عندما نزل المطر أي حوالي ستة أشهر، وبذلك رُفع غضب الرب عن الأرض. (صموئيل الثاني ٢١:٩).

هذا ويرى الكثير من الشراح وجهًا للتشابه بين رصفة وهي تقف أمام سبع شجرات معلقة عليها الأجساد السبعة، والقديسة مريم وهي تقف أمام شجرة الصليب، في ذلك الجبل أمام الرب نجد ظل الجلجثة، حيث سبعة أبرار قُتلوا (صُلبوا) تكفيرًا عن ذنوب لم يقترفوها وتحملوا لعنة قسم تم الحنث به (من قبل شاول)، لأنه "ملعون كل من عُلّق على خشبة". هكذا أوفى المسيح المصلوب الدين وقدم كفارة عن العالم كله.

كما نرى بعض أوجه للشبه ما بين رصفة ومريم المجدلية، فإن رصفة لم تستطع أن تنسى ابني محبتها أو تتركهما، هكذا المجدلية ترقب القبر حيث وضعوا الجسد، وإذ لم تكن مدركة لحتمية قيامته التي سبق فأنبأهم عنها، لذا جاءت لتحنط الجسد "وَبَعْدَمَا قَامَ بَاكِرًا فِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ ظَهَرَ أَوَّلاً لِمَرْيَمَ الْمَجْدَلِيَّةِ، الَّتِي كَانَ قَدْ أَخْرَجَ مِنْهَا سَبْعَةَ شَيَاطِينَ. فَذَهَبَتْ هذِهِ وَأَخْبَرَتِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ وَهُمْ يَنُوحُونَ وَيَبْكُونَ." (مرقس ١٦:٩،١٠)، رصفة أيضًا في مراقبتها وحبها تعبر عن إحساس سري دفين على رجاء القيامة..

لحن الجلجثة:

وهو لحن الدفن ويقال أثناء طقس الدفنة الذي يقام في نهاية يوم الجمعة الكبيرة في الساعة الثانية عشرة، وهو لحن رثائي جنائزي يروي قصة موت المسيح ودفنه، حيث تقدم يوسف الرامي إلى بيلاطس البنطي ليصرّح به باستلام جسد المسيح لدفنه، وقد تم له ما أراد باعتباره أحد أشراف اليهود، لا سيما وقد تعجب بيلاطس من أنه مات هكذا سريعًا وحمل تعجبه نوعًا من التأسف من جراء القصة بكاملها، وكانت عادة الرومان ترك الأجساد معلقة تنهشها الجوارح كجزء من العقاب. وحالما حصل يوسف على التصريح اصطحب معه نيقوديموس والذي ارتبط اسمه بتعبير 'الذي أتى ليلاً إلى يسوع': "وَجَاءَ أَيْضًا نِيقُودِيمُوسُ، الَّذِي أَتَى أَوَّلاً إِلَى يَسُوعَ لَيْلاً، وَهُوَ حَامِلٌ مَزِيجَ مُرّ وَعُودٍ نَحْوَ مِئَةِ مَنًا" (يوحنا ١٩:٣٩)، وأحضر الأطياب، وقاما بعملية الدفنز ويرد عن فيلو السكندري أن هذا اللحن من بين الألحان التي ورثها الأقباط عن الفراعنة، ويقال بلحن رثائي عذب ..

نص اللحن:

الجلجثة بالعبرانية، الإقرانيون باليونانية،
الموضع الذي صلبوك فيه يا رب،
بسطتَ يديك وصلبوا معك لصّين، عن يمينك وعن يسارك،
وأنت كائنٌ في وسطهما، أيها المخلّص الصالح.
المجد للآب والابن والروح القدس.

فصـــرخ اللّــص اليمــينُ قـــائلاً: "اذكرنـــي يـــا ربـــي،
اذكرنـــي يـــا مخلّصـــي، اذكرنـــي يـــا ملكـــي،
متـــــى جئـــــتَ فـــــي ملكوتـــــك".
أجابه الربُّ بصوت وديع: "إنك اليوم تكون معي في ملكوتي".
الآن وكـــل أوان، وإلـــى دهـــر الـــدهور. آمـــين.

أتى الصدّيقان يوسف ونيقوديموس، وأخـذا جسـد المسـيح،
وجعلا عليه طيبًا، وكفّناه، ووضعاه في قبر، وسبّحاه قـائليْن:
"قـدوسٌ الله، قـدوسٌ القـوي، قـدوسٌ الـذي لا يمـوت،
يـــا مـــن صُـــلب عنـــا ارحمنـــا".
المجـــد لـــلآب والابـــن والـــروح القـــدس،
الآن وكـــل أوان، وإلـــى دهـــر الـــدهور. آمـــين.

ونحـــن أيضًـــا نســـجد لـــه، صـــارخين قـــائلين:
"ارحمنا يا الله مخلصنا، يـا مـن صُـلب علـى الصـليب،
إسـحق الشـيطان تحـت أقـدامنا". خلّصـنا وارحمنـا ...

ويُلاحظ أن الإشارة هنا على أنها "**الجلجثة بالعبرانية والاقرانيـون باليونانية**"، هي تأكيد بأن الحدث قد تم بالفعل من خلال تحديد المكان بدقـة "**الموضع الذي صلبوك فيه يارب**"، وعندما يقول "**بسطتَ يديك**" فهذا يعنـي كيفية الصلب من جهة الطريقة حيث هناك طرق متعددة لتنفيذ الحكم، كمـا أن العبارة تعني أنه صلب بإرادته؛ مثلما نقول في لحن "فاي ايتاف إنف" هذا

الذي أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا". وعندما يقول "**صلبوا معك لصين عن يمينك وعن يسارك**" فإنه يعني أنه "أُحصى مع أثمة" (اش ٥٣:٩)، "لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَتِمَّ فِيَّ أَيْضًا هذَا الْمَكْتُوبُ: وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ.." (لوقا٢٢:٣٧)، كذلك فعندما يُعثر لاحقًا على الصلبان الثلاثة فيُعرف أن صليب المسيح بينهم (لأنه صلب مع اثنين)، وهذا ماحدث مع الملكة هيلانة حين تعرّفت على صليب المسيح، ويكمل اللحن: "**وأنت قائم في وسطهما**" القيام هنا يذكرنا بأن المسيح قائم مذبوح وأنه قائم يقدم ذبيحة نفسه فهو رئيس الكهنة الحقيقي، وقد رآه يوحنا الرائي الحمل القائم كأنه مذبوح "وَفِي وَسَطِ الشُّيُوخِ خَرُوفٌ قَائِمٌ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ، لَهُ سَبْعَةُ قُرُونٍ وَسَبْعُ أَعْيُنٍ، هِيَ سَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللهِ الْمُرْسَلَةُ إِلَى كُلِّ الأَرْضِ" (رؤيا ٥:٦). وأما تعبير "أيها المخلص الصالح" فهو إلى جوار معناه الرائع العام، فهو يشير هنا إلى مقارنة بينه وبين باراباس وتأكيد بيلاطس: "وأي شرٍّ صنع"!

بعد ذلك يأتي تمجيد الآب والابن والروح القدس، فهو وإن كان مصلوبًا وفي مظهر الضعف، إلاّ أنه الإله الذي يجب له التمجيد دائماً.. وأما صراخ اللص واعترافه فهو تخليد لهذا اللص الذي بكلمة واحدة استحق الفردوس، وأن الله رغم ما يبدو عليه من ضعف فهو المخلص والفادي ومايزال يعمل حتى في شدة آلامه. ثم يروي اللحن قصة تكفين الجسد من قبل الرجلين اللذين استحقا التكريم والتخليد

في واحد من أروع ألحان الكنيسة، ثم يُختم اللحن بتوسل من الشـــعب إلـــى المسيح المصلوب بأن يسحق الشيطان تحت أرجلنا.





(١٧) يوسف الرامي

(١٧)

يوسف الرامي

مشير شريف ينتظر ملكوت السموات

من الشخصيات الهادئة الوقورة، متوازن قوي الشخصية محبوب وله كلمة مسموعة، لسنا نعرف متى تبع المسيح وصار له تلميذاً، إنه نموذج جيد للتلميذ المخلص الصادق، وإن كان فيه بقية من الإنسان العتيق، فقد كان مثل نيقوديموس يخشى رؤساء اليهود ورد فعلهم متى عرفوا أنه تلميذ للمسيح.

يقول القديس مرقس إن يوسف الرامي هو "تلميذٌ ليسوع" وهو أيضًا "منتظرٌ ملكوت السموات"، لعل أعظم صفتين وُصف بهما يوسف الرامي هما أنه "تلميذ للمسيح" و "منتظرٌ لملكوت الله"، وكان تعبير "منتظر ملكوت الله" يُطلق على الذين يتبعون المسيح، واستمر هذا الوصف يطلق على الأقباط حيث يوصف القبطي بأنه "خين نيفاوي" باللهجة الصعيدية أو "خين نيفيئوي" باللهجة البحيرية وهو تعبير قبطي معناه: "فيما للسماء" أي أنه يفكر فيما للسماء.

وُلد يوسف في "الرامة" أو "الرمتايم"، وهي البلدة التي ولد فيها صموئيل النبي (١صم ١:١) ومعناها "مرتفع الحراس"، وتبعد عدة أميال

شمال أورشليم، ولكن من الواضح أنه لم يكن يسكن فيها، وربما كان موقعها الآن "رام الله".

يصفه القديس متى بأنه رجل غني "جَاءَ رَجُلٌ غَنِيٌّ مِنَ الرَّامَةِ اسْمُهُ يُوسُفُ، وَكَانَ هُوَ أَيْضًا تِلْمِيذًا لِيَسُوعَ" (متى ٢٧:٥٧) ويصفه القديس مرقس بأنه "مُشِيرٌ شَرِيفٌ، وَكَانَ هُوَ أَيْضًا مُنْتَظِرًا مَلَكُوتَ اللهِ" (مرقس ١٥:٤٣) أما القديس لوقا فيقول عنه أنه كان "مُشِيرًا وَرَجُلاً صَالِحًا بَارًّا" (لوقا ٢٣:٥٠) بينما يصفه القديس يوحنا بأنه "تِلْمِيذُ يَسُوعَ" (يوحنا ١٩: ٣٨).

وظيفته الدينية..

واضح أنه كان عضوًا في السنهدريم، وعندما انعقد المجمع لمحاكمة المسيح (قبل القبض عليه) رفض أن يوافقهم على رأيهم، وأبى التستر على جريمتهم. وربما من خلال عمله في السنهدريم استطاع الرسل أن يعرفوا ما دار بالضبط داخل جلسات المجلس، وكيف كانوا يفكرون، وفي وثيقة قديمة وُجدت في مخطوطة بدير البرموس ترد الحوارات التي دارت بين بعض من أفراد السنهدريم، وكذلك توقيع الأعضاء على الحكم على المسيح (راجع كتاب "أثر قديم نفيس" إصدار دير البرموس).

لا شك أنه لم يجاهر بمحبته للمسيح بسبب خوفه منهم، وربما خوفًا على مركزه أو حياته (كما سبق وأشرنا)، ورغم أن هذا السلوك له ما يبرره

لا سيما إذا كان الأذى سيصل إلى اسرته، فإن التاريخ مليء بالنماذج التي جاهرت بإيمانها ولم تخشَ النتائج، إذ يكفيها أنها تبعت المخلص ووجّهت نظرها نحو الملكوت، وفي الآلام التي واجهتها هذه الشخصيات نظروا إليها باعتبارها شيئًا يسيرًا مما صنعه الله لأجلهم، هذا جعل القديس بولس يشتهي أن يتألم كما تألم المسيح "الَّذِي الآنَ أَفْرَحُ فِي آلاَمِي لأَجْلِكُمْ، وَأُكَمِّلُ نَقَائِصَ شَدَائِدِ الْمَسِيحِ فِي جِسْمِي لأَجْلِ جَسَدِهِ، الَّذِي هُوَ الْكَنِيسَةُ" (كولوسي ١: ٢٤).

ولم يكن هذا مسلك يوسف الرامي وحده ولكن الكثير من اليهود الذين آمنوا بالمسيح جازوا هذا الاختبار، ولعل أشهرهم هو نيقوديموس الذي أتى إلى يسوع ليلاً، حتى ارتبط اسمه بهذا السلوك (يوحنا ٣: ٢) راجع أيضا (يوحنا٧: ٥٠)، لذلك خاف أبوا المولود أعمى من اليهود فلم يشهدوا للمسيح، ويعلل ذلك القديس يوحنا قائلاً عن أبوي المولود أعمى: "قَالَ أَبَوَاهُ هذَا لأَنَّهُمَا كَانَا يَخَافَانِ مِنَ الْيَهُودِ، لأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا قَدْ تَعَاهَدُوا أَنَّهُ إِنِ اعْتَرَفَ أَحَدٌ بِأَنَّهُ الْمَسِيحُ يُخْرَجُ مِنَ الْمَجْمَعِ" (يوحنا ٩: ٢٢) وعندما حدث انشقاق بين الشعب وتشكّك إن كان هو المسيح أم لا، كان الذين اقتنعوا به يخشون المجاهرة "وَكَانَ فِي الْجُمُوعِ مُنَاجَاةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ نَحْوِهِ. بَعْضُهُمْ يَقُولُونَ:«إِنَّهُ صَالِحٌ». وَآخَرُونَ يَقُولُونَ:«لاَ، بَلْ يُضِلُّ الشَّعْبَ». وَلكِنْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَتَكَلَّمُ عَنْهُ جِهَارًا لِسَبَبِ الْخَوْفِ مِنَ الْيَهُودِ" (يوحنا ٧: ١٢، ١٣)، ليس الجموع فقط بل والتلاميذ أنفسهم هربوا عند الصليب واختبأوا في العلية حتى ظهر له الرب نفسه في العلية وقال: "سلامٌ لكم" (يوحنا ٢٠: ٢١، ٢٦). ولعل القديس يوحنا في انجيله كان كثير الإشارة لهذا السلوك، فهو يقدم المسيح

من جهة لاهوته من جهة وفي المقابل كيف تشكّك البعض وخاف، مع كل ذلك ترفق الرب بالجميع: ببطرس عندما أنكر، وكذلك تجاه ضعف يوسف ونيقوديموس والتلاميذ، حتى تقوّى إيمانهم وصاروا كارزين بل وماتوا لأجله..

هنا يبكتنا كثيرًا ذلك الإنسان البسيط الذي لم يكن معلمًا ولا تلميذًا ليسوع، إنه بارتيماوس الأعمى منذ ولادته، حيث أنه شُفي ففرح، ثم عرف أن شافيه هو الله فآمن، وعندما سألوه جاهر، ولما استنكروا ذلك بكّت قساوة قلوبهم وتحول إلى كارز شجاع (يوحنا ٩). ولم يكن الذين آمنوا سرًا بالمسيح من عامة الشعب فقط بل ومن الرؤساء أيضا مثل كرنيليوس وغيرهم.

ولم يستطيع يوسف أن يكرم المسيح في حياته، ولكن أحداث الآلام والصلب الدامية حركت مشاعره وأثارت أشجانه وأمدّته بالشجاعة ليمضي ويطلب جسد يسوع ليدفنه بنفسه، فإن كان في حياته لم يُبدِ عطفًا تجاه سيده، فإنه في مماته سيُبدي إخلاصه له كشهيد مؤامرة دنيئة، هكذا تخلّص من الخوف، والتستّر، والحذر، وذهب إلى بيلاطس.

خطورة طلب الجسد:

بينما كان القانون اليهودي يقضي بألا تظل الأجساد معلقة على الصلبان بعد غروب الشمس وبالتالي أن تبيت معلقة هكذا، لأن المعلق

ملعون وهكذا لا تبقى اللعنة على الأرض «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ» (غلاطية ٣:١٣). باستثناء ما حدث مع السبعة الذين عُلِّقوا على صلبان من أبريل وحتى أكتوبر لكي تُرفع اللعنة عن الأرض (٢صم ٢١).

ولكن الرومان اعتادوا ترك المصلوب معلقًا متروكًا بذلك لوحوش الليل وجوارح النهار والتي كانت تجتذبها رائحة الدم فتأتي وتنهش الجسد حتى وصاحبه ما يزال حيًا ينازع الموت، وقد اعتبر الصالبون ذلك جزءًا من العقوبة، بل كان الحرّاس كثيرًا ما يتسلّون بمثل تلك المناظر! (كانت العقوبة في البداية، كما استنبطها الفرس، تقضي بترك المحكوم عليه مقيدًا إلى عامود أو شجرة يقاسي آلام الجوع والعطش ليومين أو ثلاثة حتى الموت، وكان الحراس يترفقون به فيقتلونه إذا ما رأوا أنه قد تعذّب بما فيه الكفاية)، ومن هنا طلب اليهود أن تُكسر سيقان المصلوبين الثلاثة للتعجيل بموتهم ودفنهم قبل غروب الشمس من جهة، وقبل الدخول في السبت الكبير من جهة أخرى حيث الحرص أكبر "ثُمَّ إِذْ كَانَ اسْتِعْدَادٌ، فَلِكَيْ لاَ تَبْقَى الأَجْسَادُ عَلَى الصَّلِيبِ فِي السَّبْتِ، لأَنَّ يَوْمَ ذلِكَ السَّبْتِ كَانَ عَظِيمًا، سَأَلَ الْيَهُودُ بِيلاَطُسَ أَنْ تُكْسَرَ سِيقَانُهُمْ وَيُرْفَعُوا. فَأَتَى الْعَسْكَرُ وَكَسَرُوا سَاقَيِ الأَوَّلِ وَالآخَرِ الْمَصْلُوبِ مَعَهُ." (يوحنا ١٩: ٣١، ٣٢) وقد وافق بيلاطس على طلبهم ضمن سلسلة من الطلبات التي أثارت استيائه، لقد كانوا – بحسب تعبير أحد الكتاب- "مثل الذُباب الزنّان"!، وأوصلوه إلى ما يشبه الطفل العنيد الثائر.. فإنهم وحتى بعد دفن المسيح ألحّوا في الحراسة لئلا يُشاع أنه قام، لقد ظل رعبهم من المسيح كبيرًا حتى وهو داخل القبر..

أما يسوع فلما أكمل كل شيء قائلاً: "قد اكمل" لفظ أنفاسه الأخيرة وصرخ بصوت عظيم وأسلم الروح، وهكذا لم ينتظر حتى تُكسر ساقاه، وعندما طلب يوسف الجسد من بيلاطس تعجب الأخير ثم أرسل لقائد المئة ليتأكد منه وعند ذلك وافق: "فَتَعَجَّبَ بِيلاَطُسُ أَنَّهُ مَاتَ كَذَا سَرِيعًا. فَدَعَا قَائِدَ الْمِئَةِ وَسَأَلَهُ:«هَلْ لَهُ زَمَانٌ قَدْ مَاتَ؟»" (مرقس ١٥:٤٤).

ولكن كيف يتجاسر كما يقول القديس مرقس ويدخل إلى بيلاطس ليطلب الجسد، وهو ليس قريبًا للمصلوب "فَتَجَاسَرَ وَدَخَلَ إِلَى بِيلاَطُسَ وَطَلَبَ جَسَدَ يَسُوعَ" (مرقس ١٥ :٤٣) وأين أقرباؤه، إن المريمتين، وهما الوحيدتان اللتان استمرتا لآخر المطاف، كانتا تنظران الموضع من بعيد (متى ٢٧:٦١ ومرقس ١٥:٤٧)، كما أن التشفُّع في مصلوب أمر من شأنه أن يثير الشبهات ويعرِّض للمتاعب، فلقد تعرض البعض للإعدام لمجرد طلب جسد المصلوب! ولكن يوسف رجل سنهدريمي وله شهرته.

لقد عانى بيلاطس نفسيًا بسبب اضطراره لصلب المسيح، واشمئزَّ من اليهود ورؤسائهم، واستاء كثيرًا من إلحاحهم وتهديداتهم له وتهييج الشعب، وأراد بصلب المسيح أن تنتهي هذه المأساة، وقد تساءل البعض إن كان بيلاطس قد استخلص لنفسه رشوة من يوسف وهو رجل غني، مثلما أراد فيلكس الوالي أن يفعل مع بولس الرسول (أعمال ٢٤:٢٦) ولكن هذا الأمر مستبعد، بل الأرجح أن بيلاطس شعر بالراحة لانتهاء عذاب المسيح، وربما سمح بأن يوهب يوسف الجسد علّه يقدم أي لمسة رحمة لذلك الرجل الذي رآه بارًا لا يستحق الموت.

التكفين والدفن:

مع أن بائعي الأكفان والحنوط كانوا يُعفوْن من التوقف عن العمل في السبوت إلاّ أن نيقوديموس استطاع شراء الحنوط قبل السبت (يوحنا ١٩:٣٩) "جَاءَ يُوسُفُ الَّذِي مِنَ الرَّامَةِ، مُشِيرٌ شَرِيفٌ، وَكَانَ هُوَ أَيْضًا مُنْتَظِرًا مَلَكُوتَ الله، فَتَجَاسَرَ وَدَخَلَ إِلَى بِيلاَطُسَ وَطَلَبَ جَسَدَ يَسُوعَ" (مرقس ١٥: ٤٣)، وهكذا قُسِّم العمل بينهما؛ فبينما ذهب يوسف للحصول على إذن بأخذ الجسد المقدس، مضى نيقوديموس لشراء الحنوط وكانت عبارة عن مئة منا (رطل) من المر والعود وهي المواد المستخدمة في التحنيط "وَجَاءَ أَيْضًا نِيقُودِيمُوسُ، الَّذِي أَتَى أَوَّلاً إِلَى يَسُوعَ لَيْلاً، وَهُوَ حَامِلٌ مَزِيجَ مُرّ وَعُودٍ نَحْوَ مِئَةِ مَنًا" (يوحنا ١٩: ٣٩) وأمّا الكتان فكان كتانًا نقيًا بمعنى أنه غالي الثمن "فَأَخَذَ يُوسُفُ الْجَسَدَ وَلَفَّهُ بِكَتَّانٍ نَقِيٍّ"[(١)] (متى ٢٧: ٥٩).

أمّا تعبير أنهما كفناه "**حسب عادة اليهود**" يقول القديس يوحنا: "فَأَخَذَا جَسَدَ يَسُوعَ، وَلَفَّاهُ بِأَكْفَانٍ مَعَ الأَطْيَابِ، كَمَا لِلْيَهُودِ عَادَةٌ أَنْ يُكَفِّنُوا" (يوحنا ١٩:٤٠) فهذا يعني أنهم كفّنوه بحسب العادة المتبعة وهي لفّ القدم من بداية الأصابع حتى نهاية الفخذ بأشرطة من الكتان وتحتها طبقة من الحنوط، ثم لف القدم الأخرى بنفس الطريقة، بعد ذلك تكرار نفس الشي مع الذراعين، ومن ثم تضم القدمين وتلفان معًا من جديد، فإذا ما وصلا إلى

---

(١) عندما دُفن غمالائيل الأكبر عملوا له حريقة طيب وعطور ٨٠ رطلاً، فلما سألوا الرابي أنكليوس عن ذلك قال: أليس غمالائيل افضل من ١٠٠ رطل (مثل آسا الملك)؟!

الحقوين ضموا اليدين إلى جوار الجذع ليُلفَّا مع الجسد كله فيصبح شكله العام مثل السمكة، فإذا وصلوا إلى الرأس وضعوا بعضًا من الحنوط فوق كل من العينين ثمّ لفّوا الوجه كله بما يشبه المنديل ليربطوه من الخلف. ولكن دراسات الكفن في تورينو أفادت بأنه ومن واقع الدراسات لم يتم ذلك مع المسيح بل لُفَّ الجسد سريعًا بقماش من الكتان.

ويروي التقليد أنه عند التكفين أنه – وبحسب العادة المتبعة – وضع يوسف الرامي ريشة صغيرة ناعمة تحت أنف المسيح، للتأكّد من وفاة الشخص، فلم تتحرك الريشة، ولكن ما أن بدأ يوسف ونيقوديموس في عملية التكفين حتى رأيا عينا المصلوب تتحركان، وحينئذ سبّحاه على الفور: "قدوسٌ الله، قدوسٌ القوي، قدوسٌ الذي لا يموت". ويرى الكثير من آباء الكنيسة أنه إلى هذا الموقف ترجع هذه التسبحة والمسماة الثلاث تقديسات (تريس آجيون)..

وإن كان دليل أنه لا يموت له دلالات عديدة غير هذا الموقف فهو القائم كأنه مذبوح، وهو الكاهن والذبيحة فوق الصليب، وهو الراقد في القبر حيًا.. وهو المخلّص الذي حرّر الذين قُبض عليهم في الجحيم..

المغارة التي دُفن فيها السيد:

هى قبر ملك خاص ليوسف الرامي، حفره ليُدفَن فيه بالقرب من المدينة المقدسة، مثل كثيرين في زمانه. ويبدو أنها كانت حديثة العهد حفرها

خصيصًا في الصخر لتكون مقبرة العائلة ولم يكن أحد قد دُفن فيهـا بعـد "وَكَانَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي صُلِبَ فِيهِ بُسْتَانٌ، وَفِي الْبُسْتَانِ قَبْرٌ جَدِيدٌ لَمْ يُوضَعْ فِيهِ أَحَدٌ قَطُّ" (يوحنا ١٩:٤١)، أمّا القديس متى فيقول: "وَوَضَعَهُ فِـي قَبْـرِهِ الْجَدِيدِ الَّذِي كَانَ قَدْ نَحَتَهُ فِي الصَّخْرَةِ، ثُمَّ دَحْرَجَ حَجَرًا كَبِيرًا عَلَـى بَـاب الْقَبْرِ وَمَضَى" (متى ٢٧:٦٠). والمغارة التي من هذا النوع مكلفة جدًا، ولم يعتد على فعل ذلك إلا الأغنياء فقط، وكانت تقام بطريقة غاية في الاتقـان وفضلاً عن تنسيقها البديع من الـداخل فهـي مصـممة ضـد اللصـوص والوحوش. وهكذا تمت النبوة: "وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِـيٍّ عِنْـدَ مَوْتِهِ. عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ" (اشعياء ٥٣:٩).

وكانت القبور العادية عبارة عن حجرات مبنيـة توضـع داخلهـا الأجساد ولكن تحت أرضية الحجرة، وهذا يفسر لنا قول السيد المسيح عـن الكتبة والفريسيين المراءون أنهم يشبهون قبـورًا مبيضّـة والنـاس عليهـا ماشون، ونوع آخر من القبور يُنحت أيضًا في الصخر ولكن عبارة عن ممر في الوسط يتفرع منه فتحات على قدر جسم الميت تسمى نـواويس (جمـع ناووس) أي قبر صغير، هذا في الآرامية، بينما تُسمى في العبرية كـوكيم (جمع كوك)..

الحجر على فم القبر:

كان هذا الحجر الثقيل إما عبارة عن اسطوانة مثل حجر الطاحونة يُدحرَج حتى يأتي مقابل فتحة القبر، مع وجود هبوط تحته يستقر فيه حتى لا

يمكن دحرجته بسهولة، وإلا لكانت النسوة اللائي أتين إلى القبر قد حركنه بسهولة، ولكنهن بحثن عمن يدحرجه لهن "وَبَاكِرًا جِدًّا فِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ أَتَيْنَ إِلَى الْقَبْرِ إِذْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ. وَكُنَّ يَقُلْنَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ:«مَنْ يُدَحْرِجُ لَنَا الْحَجَرَ عَنْ بَابِ الْقَبْرِ؟»" (مرقس ١٦: ٢، ٣).

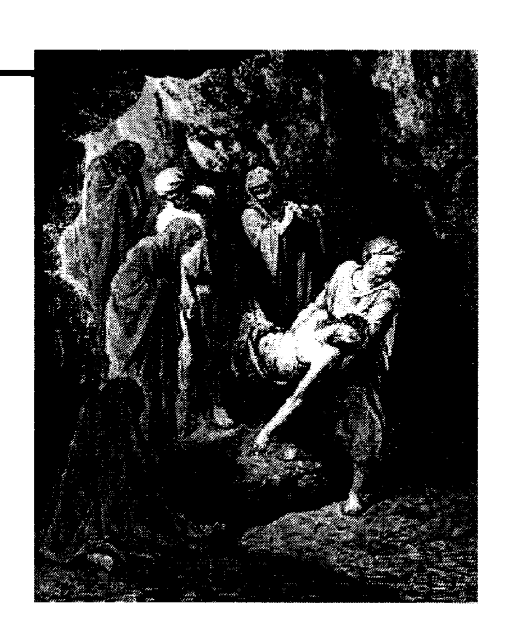
وكان القبر في بستان في الجلجثة داخل سياج، وهكذا حاول هذا الرامي الفاضل أن يكرم المسيح في مماته، حيث لم يقدر أن يجامله في حياته، حيث يلاحظ أن أحدًا من عائلة المسيح بالجسد لم يكن موجودًا خلال تلك الأحداث.. ولعل دفن يوسف لجسد المسيح كان أعظم عمل جاء إلى الحياة لأجله!!

أخبار آخرى عن يوسف الرامي[٢]:

ورد عنه في التقليد أن فيلبس عندما بشر في بلاد الغال (فرنسا) كان يوسف الرامي معه مثل تلميذ مخلص، وقد أرسله فيلبس إلى إنجلترا ومعه اثنا عشر من الإكليروس ليبشروا هناك، وقيل أن ملك إنجلترا لم يؤمن بالمسيح، غير أنه وهبهم جزيرة تسمى الآن "جلاستنوري"، هناك بنى كنيسة حيث دُفن فيها لاحقًا، هكذا وكما دفن المسيح في قبره وهبه المسيح شرف أن يُدفن في بيته (الكنيسة).

---

[٢] الفريد بتلر تحت يوم ١٧ مارس.



(١٨) نـــيــقـــوديــمــــــوس

(١٨)

نيقوديموس

ذُكر نيقوديموس، والذي اشترك مع يوسف الرامي في دفن جسد المسيح، ثلاث مرات في العهد الجديد، فهو الذي أتى إلى يسوع ليلاً وتحدث معه عن الولادة الجديدة (يوحنا ٣) وهو الذي على استحياء عاتب مجلس السنهدريم على التسرع في الحكم على المسيح، وأخيرًا في أعظم عمل قام به في حياته وهو دفن المسيح.

والاسم نيقوديموس يعني "نقي الدم"، وهو اسم كان شائعًا بين اليهود في القرن الأول الميلادي، غير أن الإنجيل لم يذكر شخصًا سواه بنفس الاسم، أما التلمود فقد ذكر شخصًا يُدعى "نيقوديموس بن جوريون" أو "ابن كربون"، وهو شقيق المؤرخ اليهودي الشهير "يوسيفوس بن كربون". وقد كان غنيًا جدًا وعضوًا أيضًا في مجلس السنهدريم، ويرى البعض أنه ربما كان نفس الشخص موضوع دراستنا.. غير أن التلمود يذكر أن ابنة نيقوديموس شقيق يوسيفوس، والتي كان مهرها مليون قطعة ذهبية، شوهدت في حصار اورشليم سنة ٧٠م تجمع روث البهائم لعلها تجد فيه بعضًا من حبات القمح تسد بها رمقها، وهو الحصار الذي هلك فيه نيقوديموس وعائلته، فهل نسب التلمود كل هذا الخزي إلى نيقوديموس رفيق يوسف الرامي نكاية به لأنه أصبح مسيحيًا؟

نيقوديموس رئيسٌ لليهود ومعلمٌ لإسرائيل (يوحنا ٣: ١، ١٠):

كان نيقوديموس يضع كل رجائه في أنه من نسل ابراهيم، ولكن السيد المسيح نبهه إلى أنه لن يخلص أحد إلا من خلال الصليب. «وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ...» (يوحنا ٣: ١٤). وفي حديث المسيح مع نيقوديموس وردت درة الآيات، وأعظم آيات الكتاب المقدس: «**هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ**» (يوحنا ٣: ١٦).

ولنرَ **لماذا هي أعظم آيات الكتاب المقدس؟:**

هكذا	= خلاصة الأمر
أحب	= أعظم عمل
الله	= أعظم كائن
العالم	= أوسع شيء
حتى بذل	= أعظم تضحية
ابنه الوحيد	= أعظم ما عنده (مونوجنيس)
لكي لا يهلك	= أقسى عقوبة
كل من يؤمن به	= أعظم استجابة
بل تكون له الحياة الأبدية	= أعظم مكافأة

إذن فهي أعظم آية...

وراح نيقوديموس يسأل في سذاجة مثل تلميذ مبتدئ. كيف يولد شيخ كبير مثله من جديد؟، ألعله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية!

غير أن السيد المسيح لم يكن يتكلم عن البطن الجسدية بل البطن الروحية، بطن الأم الكنيسة والتي تلد بنين لله، مثلما علّم القديس كبريانوس: "لا يستطيع أحد أن يقول إن الله أبوه ما لم تكن الكنيسة أمه". ومن هنا تبادر الكنيسة بالذهاب إلى المولود الجديد في بيته لكي تهنئ الأسرة، ولكنها تقول في صلواتها إن هذا الميلاد لا يكفي ولا يؤهل لدخول الملكوت، ومن هنا تدعوه إلى الولادة الروحية من المعمودية.

وهكذا كان نيقوديموس المعلم والحاخام الكبير لا يدرك أن الناموس والأنبياء والنبوات والرموز كلها أشارت إلى رب المجد يسوع وتوقفت عنده.

الذي أتى ليلاً إلى يسوع:

صارت هذه العبارة لصيقة بنيقوديموس، حيث وردت أكثر من مرة مقترنه به، فعلى الرغم من قناعته بعد لقائه مع يسوع إلاّ أنه خشي على مركزه، كما استحى أن يبدو أمام الناس كتلميذ وهو المعلّم الشهير، وربما انتظر حتى يتحقق من هوية يسوع ورسالته، وعند المحاكمة والصلب اختفى من الساحة، ولو كان قد قدّم للمسيح في حياته ما قدّمه في مماته لنعم بابتسامة حلوة منه، ولكن عزاء نيقوديموس أن المسيح لا يموت وأنه لن ينسى له تعب محبته، وعند محاكمة المسيح غيابيًا

عاتب نيقوديموس مجلس السنهدريم على استحياء قائلاً: «أَلَعَلَّ نَامُوسَنَا يَدِينُ إِنْسَانًا لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ أَوَّلاً وَيَعْرِفْ مَاذَا فَعَلَ؟»، مما جعلهم يتشككون فيه فسألوه مستنكرين :«أَلَعَلَّكَ أَنْتَ أَيْضًا مِنَ الْجَلِيلِ؟»، أي ألعلك من تلاميذه؟ (يوحنا ٧:٤٥-٥٢)

كيف ظهر نيقوديموس في عملية الدفن؟:

هل تشجّع عندما رأى يوسف الرامي يظهر، حيث كانت هناك أوجه تشابه بينهما؟ فالاثنان فريسيان وعضوان في السنهدريم، ولهما مكانة اجتماعية إلى جوار مكانتهما الدينية، وتجمع بينهما صفة الخوف من اليهود، والخوف على كرامتهما ووضعهما..

هل تشجّع عندما رأى يوسف يتجاسر ويتجه إلى بيلاطس يطلب الجسد المقدس؟، فذهب هو لشراء الأكفان والحنوط، أم أنهما لضيق الوقت قسّما العمل بينهما؟ لقد كانت محبتهما للمسيح وشجاعتهما في المجاهرة بتبعيته أثناء حياته قبل الصلب، مثل قصبة مرضوضة لا يمكن الاعتماد عليها، ولكن بعد موته صارت هذه القضية مثل شجرة بلوط أو أرز عملاقة.

ولكن لماذا لم يتشفع كلاهما في المسيح لدى بيلاطس البنطي، وهما قويان لهما هذا النفوذ، وفي وقت أسرع من وقت الدفن! فإن التماسهم لدي بيلاطس من أجل حياته، أكثر نبلاً من التماسهم أخذ الجسد بعد موته! إن هذا يذكرنا بالكثيرين الذين يحتاجون إبان حياتهم بيننا إلى أبسط تشجيع وتقدير

ولكنهم لا يجدونه، وما أن يرحلوا حتى تتبارى الأقلام في مديحهم والثناء عليهم في وقت لا يفيد فيه هذا الثناء صاحبه...

هل خدم يوسف الرامي المسيح المدفون من خلال نفوذه، بينما خدمه نيقوديموس من خلال غناه؟، فقد اشترى مئة رطل من الحنوط مع كتان نقي، هكذا يمكن لكل إنسان أن يخدم المسيح من خلال موهبته، فعند بناء كنيسة مثلاً، تجد المشاركين: هذا بماله، وهذا بجهده، وذاك بعلاقاته، وآخر بنصحه، وهذا بصلاته، وهذا بتشجيعه...

أخبار أخرى عن نيقوديموس:

يرد في بعض التقاليد انه اعترف جهرًا بالمسيح فاديًا ومخلصًا، ونال سر المعمودية على يدي القديس بطرس، وما أن سمع السنهدريم في أورشليم حتى أصدروا قرارًا بطرده من مركزه، ونفيه من أورشليم (لعله اختار هذا النفي)، وقد فقد ثروته مع أنه كان من أثرياء اليهود، ولكنه استخف بكل ما يملك مقارنة بكنز الإنجيل، والكنز المذخر له في الحياة الأبدية.. إنه الكنز الذي مضى التاجر وباع كل ما له واشتراه.

إنجيل نيقوديموس:

هو واحد من الكتب التي يُطلق عليها "كتابات أبو كريفا العهد الجديد"، ويرجع نصه إلى القرن الخامس الميلادي، وهو عبارة عن تجميع واقتباس من كتابات سابقة متفرقة، وربما كان جاء كردٍّ على مقال منسوب لبيلاطس البنطي ضد المسيح، والنص عبارة عن قصة منسوبة إلى

نيقوديموس يروي فيها محاكمة المسيح وموته ودفنه ونقاش السنهدريم حول القيامة...

ويرد في الكتاب أن الجميع اختبأوا عند الصلب باستثناء يوسف ونيقوديموس، ولما علم اليهود بأن نيقوديموس يحب يسوع سخروا منه قائلين: "لتكن لك معه حصة في الدهر الآتي"، فأجاب: "آمين. آمين.آمين". وذُكر في هذا الكتاب الأبوكريفي أن اليهود حبسوه في السبت تمهيدًا لمحاكمته، غير أنهم لم يجدوه في الزنزانة بعد يومين..

هكذا تعين نيقوديموس مع يوسف منذ الأزل لخدمة جسد الرب وإكرامه...

الفهرس



إن جميع الأشخاص الذين تلامسوا مع صليب المخلّص، سواء بشكل إيجابي أو سلبي، كان هذا التلامس هو أعظم حدث جرى لهم فى حياتهم، بعضهم دخل التاريخ من خلاله كشرير خالد، والبعض الآخر كبارٍ خالد، كذلك الأشياء والأدوات التي تلامستِ مع الصليب صارت أغلى وأغنى وأهم الأشياء بسبب ذلك، فالمسامير التي صُلب بها الرب صارت أثمن قطعة حديد في الوجـــود وكذلك الخشب والمطرقة والشوك .

كذلك تقدّست دار الولاية والجلجثة وبيتِ حنّان وقيافا والبستان والعلّية، وأعطى السيد المسيح لكل هؤلاء وهذه الأدوات قيمة وأهمية.